AL-MANAF

AB'AD AL-SIRA' AL-'ARABI-AL-ISRA'ILI

2272
.61852
.M5
.311

2272.61852.M5.311
al-Manaf
Ab'ad al-sira' al-'Arabi -
al-Isra'ili

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

Princeton University Library
32101 072565573

وزارة الثقافة والاعلام

مديرية الاعلام العامة

أبعاد الصراع العربي - الإسرائيلي

جميل الياسين

السلسلة الإعلامية

٤

هدية
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

al-Manāf, Jamīl Kāẓim

وزارة الثقافة والاعلام
مديرية الاعلام العامـــة

Abʿād al-ṣirāʿ al-ʿArabī-al-Isrāʾīlī

أبعاد الصراع العربي - الإسرائيلي

جميل كاظم المنافي

السلسلة الاعلامية
٤

2272
.61852
MS
.311

المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م

مُقَدِّمَة

هذا الكتاب هو محاولة لاستقراء ابعاء المعركة مع العدو الامبريالي ـ الصهيوني• من خلال معايشة الظروف والاحداث التي مرت قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ وما بعده •

والابواب والفصول التي يحتويها الكتاب تستدل على ذلك بواسطة ممارسة الاستقراء بالوقائع المعاصرة • ونحن نرى ان بعض فصول الباب الاول قد كتبت قبل نكسة حزيران فجاءت في نتائجها النهائية مطابقة لما حدث بعدئذ •

وقد كانت التوقعات التي رأينا حدوثها في أغلب أبواب كتابنا هذا مثار جدل في أوساط المثقفين لما احتوته من حقائق وتحليلات صائبة وتفسيرات علمية سديدة في جميع المجالات الفكرية النظرية والسياسية العملية •

ونظرة فاحصة ودراسة معمقة للصفحات التالية تكشف لنا أبعاد الصراع العربي ـ الاسرائيلي في كل سوحه وميادينه الدعائية والاجتماعية والدولية •

على أية حال نحن بحاجة الى فهم أنفسنا أولا وفهم عدونا ثانيا

وادراك المواقع التي ننطلق منها • فما انتصر العدو الصهيوني – الامبريالي علينا • لكونه أكثر مراسا منا في صوح القتال •• وانما لان مجتمعاتنا ملأى بالعيوب • ولاننا لم نتعامل مع الحقيقة تعاملا علميا مؤداه الصدق والاصالة • ولاننا لم نجمع قوانا •• ولاننا لم نعرف أن نخاطب الرأي العام العالمي • ناهيك عن مخاطبة أنفسنا •• كنا نهول ونؤول • نقول أكثر مما نفعل •• نلوك الشتائم ونتغذى بها •• أما انساننا فقد كان مسحوقا بظلم مجتمعاتنا • لذلك كانت النكسة نتيجة مباشرة لكل هذه الاسباب ••

تلك النكسة التي علمتنا أن نبحث عن عيوبنا أولا • أن نمنهج طريق انساننا •• أن نقسو في قول الحقيقة •• أن نصنع الدولة العصرية بالتكنولوجيا والعلم • ونعتمد على الجماهير بعد تحررها من العبودية الطبقية •

وقراءة هذا الكتاب تكشف عن أهمية المعارك الدعائية التي يخوضها العدو الاسرائيلي ضدنا وتكشف عن تحركاته السياسية والعسكرية • وتسلط الضوء على الكثير من الاسلحة النفسية والاقتصادية التي يحاربنا بها الاستعمار الجديد ممثلا بالولايات المتحدة الامريكية •• كما ان في الكتاب دراسة – نظرية – معمقة – ومفهومة • لابعاد المخططات الصهيونية – والاميركية في أرضنا العربية • وفيه تحليل لاستراتيجية الحرب في حزيران كتب بعد النكسة بعدة أيام فقط في وقت لم تتجلى فيه الخطوط البيانية لاستراتيجية الحرب الخاطفة التي **اتبعتها اسرائيل** •

واذا كنا اليوم بحاجة الى تسليط الضوء على كافة احتمالات الموقف مع العدو فاننا في نفس الوقت بحاجة الى دراسة كافة أشكال حروب

التحرير النظامية وحروب التحرير الشعبية ومدى مطابقة كل منها على واقعنا العربي جغرافيا وفكريا وسياسيا والتوقعات التى يمكن حدوثها في المستقبل القريب .

ان تنظير واقعنا السياسى والعسكرى مع العدو يقودنا بالضرورة الى استعراض معارك التحرير التاريخية القديمة والمعاصرة ومطابقتها مع ظروفنا في محاولة لاستكشاف طريقنا العظيم . طريق التحرير والوحدة والاشتراكية ..

وقد راعيت في دراستي النظرية البساطة والسهولة واستشهدت بعدة نصوص من مدونات رجال العصابات والتحرير الشعبي . اضافة الى وقائع القضايا المعاشة في عصرنا ..

ان كتابنا هذا يعتبر سجل المعركة ففصوله وأبوابه تسجل المعركة من قبل نكسة حزيران وما بعدها . وحاجتنا الى سجل فكرى مبسط في هذه الظروف تتصاعد لان الفكر النظرى العلمي الذي يرافق وقائع الاحداث يمتاز عن الفكر النظرى المجرد بالحيوية والواقعية وانطباق الاطروحة أو الفكرة مع العمل .

وكلمتي هذه ليست تقييما ايجابيا لمجهوداتي .. انما هي استعراض تمهيدي لشيء يجب أن يقرأ ليس غير ..

جميل المناف

الباب الأول

الموقف الأمريكي

الفصل الاول

نظرية المثلث المضطرب

الخريطة السياسية :

تكشف خريطة الشرق الاوسط في الآونة الاخيرة عن وصول التناقض العدائي بين العرب واسرائيل الى حد الصدام والانفجار • وقد وصل الامر الى نقطة اللا عودة بعد التطورات الاخيرة التي أعقبت زحف قوات ج•ع•م على شرم الشيخ واغلاقها خليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية وبالنسبة للغرب فقد وصل الامر الى حد اعلان أمريكا أنها ستتخذ الاجراءات اللازمة في الوقت المناسب ، الا أن أمريكا تراجعت بعدئذ ، عندما رأت أن ميزان القوى يختل ويميل لصالح العرب • وعندما وجدت مخططها الاستعماري ـ المثلث المضطرب ـ أو ـ المثلث الخطر ـ قد كشف ، وانتزعت المبادرة من أيدي العملاء والرجعيين •

فلسفة ضبط الاعصاب :

فشل مخطط المثلث المضطرب بعد التحولات التي حدثت في استراتيجية المنطقة وتأكد للغرب أنه ليس مثلثا مضطربا ، لكنها الشعوب وحقائق التاريخ والثورة العربية المعاصرة ، وسقطت نظرية الاتجاه نحو

دمشق والقاهرة من داخل اسرائيل ، والاتجاه نحو الجزائر من قاعدة بنزرت والمغرب ، والاتجاه نحو اليمن من قاعدة عدن والجنوب المحتل • وهكذا أصبحت النظرية المذكورة خرافة في عقول سادة البنتاغون ، ونتيجة لهذا احتوت الصحافة الغربية أحاديث متشائمة عن مستقبل اسرائيل والرجعية العربية ، على عكس أحاديثها المتفائلة ، والاكثر تفاؤلا وأقل عصبية من اليوم •• كانت التايمز والابزورفر والتايم والنيوز ويك تملأ أنهارها حديثا عن مشروع الحلف الاسلامي ، وعن التناقضات التى تسود البلاد العربية التقدمية ، وتمجد رواد الاصلاح على الطريقة الغربية في الشرق الاوسط ، وتنشر صورا للمنشئات الامريكية والبريطانية التى أقيمت في البلاد العربية الرجعية ، كانت هذه الصحف تتحدث عن مشهد ختامي لثورة اليمن وعن اقتراب تصفية للنظام في سوريا وتتحدث عن قرب محو الارهابيين ـ كذا ـ في عدن ، وترثى لحال البلاد التى لا تستسلم للوصاية البريطانية الامريكية وتهددها بالحصار الاقتصادي ، وتمارس الضغط عليها بنشاط أصحاب العلاقات الامريكية والصهيونية سواء على موائد مؤتمرات القمة أو على طول جبهات المواجهة هنا أو هناك•

أما في هذه الايام فقد أصبحت الصحافة الغربية متوترة وعصبية جدا على عكس سادتها الذين يدعون اسرائيل الى الالتزام بفلسفة ضبط الاعصاب ، ترى ماذا تعنى هذه الفلسفة التي ينصح بها جونسون اسرائيل وهل خلفها طبخة أو خطة استعمارية جديدة •

لحساب من أو على حساب من ؟

نطرح هذا التساؤل ونحن ندرك العلاقة الملتوية والمتواطئة بين

اسرائيل وبين الغرب بصفة عامة وأمريكا بصفة خاصة ، لكننا في ذات الوقت نواجه تساؤلات اخرى ، لحساب من وعلى حساب من هذه العلاقة الملتوية والمتواطئة بين الغرب واسرائيل ؟.. والجواب بداهة لحساب الصهاينة وعلى حساب العرب .. ولكن لنرى كيف يستقر ميزان الحسابات وحصيلة الربح والخسارة ؟.

أولا :

يستفيد الغرب بداهة من العرب عشرات المليارات من الدولارات والجنيهات الاسترلينية بواسطة استثماراتهم المالية والنفطية والتعدينية الكبيرة في الوطن العربي ، كما انهم يستعمرون الارض العربية بواسطة الاستعمار القديم ـ الاحتلال ـ أو الاستعمار الجديد ـ السيطرة الاقتصادية ـ ورغم ذلك يحول الغرب ضحيته الى فريسة ويدفع الوليد الذي أنجبه : اسرائيل ، الى التحول الى سرطان من الداخل ، والواقع الذي لا جدال فيه أن الغرب لا يضع اسرائيل كبديل في حساب سياساته واستراتيجياته وانما ـ كقاعدة ـ يقفز منها . وأداة استنفاذ للطاقات العربية في المجهودات الحربية لغرض شل امكانيات التطور الصناعي الحضاري ، وهذا الامر يعبر عن غباء الغرب الذي يسعى لشراء الاعداء .

ثانيا :

الواقع الذي لا جدال فيه أن العرب والغرب أقطاب متنافرة بل أقدار متصادمة ـ تأريخيا ـ ما دام بينهم شيء اسمه استعمار اقتصادي أو سياسي واسرائيل ، ومن المحقق أن بيننا وبين الغرب أخاديد عميقة وتاريخا تعسا بما فيه الكفاية وواقعا لا يقل تعاسة ومشاكل جذرية تمتد عبر الايديولوجيات الى الوسائل السياسية الى عشرات القضايا القومية

والمحلية ، ولكنها جميعا على خطورتها ليس مما لا يمكن نظريا حلها أو تخفيفها على الاقل في المدى البعيد ، من جانب العرب أنفسهم ، وبواسطة الثورات المباشرة والاجراءات الاخرى ، الا مشكلة واحدة لا تقبل أنصاف الحلول أو الحلول الوسطى ، فلسطين أو اسرائيل ، ولهذا فالصدام بيننا وبين الغرب أمر حتمي ان لم تزل في النهاية احدى ثلاث !.

فلسطين اما ان تكون واما أن لا تكون

أما أن نزول نحن وأما أن تزول اسرائيل وأما ان يزول الغرب . وواضح بحكم منطق الاشياء وبحكم منطق البشر على الارض وتحت الشمس ، أن لا زوال لنا أو للغرب ، وجودا ومصيرا ، ولكن الذي يجب أن يزول انما هو اسرائيل ، وعلى ذلك فان كل محاولة للتقريب والمهادنة بيننا وبين الغرب مقضى عليها بالفشل مهما كان مصدرها ومهما كان حافزها ، الغرب يختلف معنا فكرا وسياسة وحضارة ومصيرا .. الغرب اذن عدونا .. وقطع شرايين الغرب التي تنبع من أراضينا شيء أساسي ، فالذي يملك منبع الشريان يستطيع ايقاف فعالية القلب .. ومن الحقيقة بعد هذا أن نؤكد أن العرب لم تأل جهدا في طرق السياسة والكياسة أملا في ترشيد الغرب ، الا أن الذي حدث هو العكس لقد حاولنا تبصير الغرب بنتائج سياساته ، ولكن تلك المحاولات اعطبت بسبب عوامل اقتصادية وتاريخية تمتد في جذور الخلاف الاساسي بيننا وبين الغرب ولهذا أصبحت جميع المحاولات السلمية بيننا وبين الغرب أمرا مستحيلا . لقد عبر الرئيس عبد الناصر عن هذه الاستحالة عندما قال : لن نستطيع أن نرضى الغرب والاستعمار مهما فعلنا » .

معركة الدعاية والفكر :

هل يمكن بعد هذا أن نكسب المعركة الدعائية في الغرب ، ونفصل بين الغرب كواقع استعماري ، وبين الغرب كشعوب تسيطر عليها ايديولوجيات مضللة ونظريات تربوية تخدم الاهداف الاستعمارية والامبريالية العالمية أملا في تفجير صراعات داخلية ضمن الجبهة الغربية وضمان حياد الشعوب الاوربية والامريكية على الاقل ان لم يمكن استمالتها الينا لكيما تضغط على حكوماتها ازاء صراعها معنا ؟.

لا شك أنه ليس يكفى أن يكون الحق في صفنا ، بل والحقيقة أيضا ، ولابد من عرض قضيتنا العادلة أمام الرأي العام العالمي لكسبه ، ومعروف أن الدوائر الصهيونية والدوائر الموالية في الغرب أساسا ، تعمد بمختلف الطرق الى تصوير هذا التناقض على أنه موقف عنصري (شوفيني) من العرب ضد اليهود ـ أو على حد تعبير شائع في الغرب : (أتباع محمد ضد أتباع موسى) وعلى الرغم من أن وضع مسألة الصراع بين العرب واسرائيل ، من جانب الصهيونية على هذا الشكل هو وضع بحد ذاته يشير الى عنصرية اسرائيل الا أن بريق هذه الدعاية وحجمها حجب قضيتنا عن عدد من الدوائر الفكرية والسياسية التقدمية .

مسؤولية المثقفين التقدميين :

ولست أريد هنا أن أسترسل في سرد ما شوهت الدعاية الصهيونية من القضية الفلسطينية بسيطرتها على أجهزة الاعلام والدعاية والادب والفكر . واذا كان من المسلم به اننا مهما فعلنا في الغرب فلن نستطيع أن نواجه هذه الدعاية الافعوانية بمثل قوتها لاسباب عديدة مفهومة .. فان هذا لا يمنع مخاطبتنا لرجال الفكر والادب والاتحادات والاحزاب في

الغرب وخاصة مؤسسات اليسار الاوربي وكافة التقدميين في العالم •

وهنا تبرز مسؤولية المثقفين والمؤسسات الفكرية والجمعيات الادبية • كما انه من الضروري أن تقوم الاجهزة والمنظمات الجماهيرية بدورها في هذا المضمار ، ومن المهم في هذا السبيل أن نبعث بوفود منتظمة من كبار مثقفينا ممن توافروا على دراسة القضية المصيرية وسيطروا على دقائقها ومداخلها ومخارجها الفكرية ايجابية وسلبية على حد سواء ولهم القدرة على مواجهة الجماهير الاجنبية بلسانها ومنطقها وعقلياتها • ليثيروا من على منابرها حوارا عميقا مع ضمائر الشعوب هناك ، ويضعوا في عقولها صراعا حادا بين الصورة الحقيقية والصورة المزيفة •

عقدة يجب أن تزول :

ولكن من المفيد أن ندرك ان المعركة الفكرية والدعائية رغم أهميتها فهي بحاجة الى بعض الاستدراكات • ومن الصراحة أن نقول• اننا يجب أن نقتلع ـ عقدة ـ النقص تجاه الغرب التى تثوى في أعماقنا فالغرب ليس هو الفيصل في الامر كما أن المثقفين والتقدميين فيه ليسو هم الذين يمنحوننا ـ جواز مرور ـ الى معركة العودة • نحن بهذا نعطيهم احساسا بالتفوق ، وهذا خطأ سايكولوجى فكرى معا فحقوقنا ليست متعلقة بهم • ومناشدتنا اياهم هي تكتيك يخدم استراتيجيتنا • وكسب معركة الدعاية والفكر أمر جد هام •

تفجير القوة من الداخل :

بقى أن ندرك ان جميع هذه الامور يجب أن تخدم قوتنا الذاتية •

وقوة الامة العربية الذاتيـة تكمن في جماهيرها العريضة القـوة البشرية الهائلة التي تصنع المعجزات وشساعة أراضيها وثرواتها البترولية والتعدينية والزراعية وما شـابه وتحرير الجماهير العربيـة من عنـاصر الاستغلال الطبقـى واطلاق طاقاتهـا الجبارة والاعتماد عليهـا والثقـة بها ومنهجـة أعمالها سياسيا واقتصاديا بايديولوجية علمية تستوعب مقتضيات اللحظـة التاريخيـة ومستلزمات العمـل السياسى والاجتماعي ـ محليـا وقوميا ـ وتنسيق خطط العمل ضمن حركة التحرر العربي المعاصرة بحكم كونها قطب التناقض التاريخي مع الاستعمار .

ان حركـة التحرر العربي وهـي جزء هام من حركـة التحرر العالمى ، حركة قومية تقدمية شملت منطقـة متسعة ومتداخلة مـن قارتى آسيا وأفريقيا ، والتناقض الذي تمثله هـذه الحركة مـع الغرب يشمل التناقض مـع الاستعمار الذي لا يتجزأ عضويا عن الغرب . فهو نتـاج قـواه الاقتصادية والسياسية واتحاداته الصناعية والماليـة التي نمت نمـوا سرطانيا بالمجتمعات الغربية خاصة بريطانيا وفرنسا والنمسا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية . وسعت بالقوة المسلحة . وبعدئذ بالاستغلال الاقتصادي الى اقتسام العالم غير الصناعي . ومن ضمنه الوطن العربي . وقد منـى الاستعمار العالمـى بخسائر فادحة منـذ أوائل القرن الراهـن وسرعان ما توالت انتصارات الشعوب عليه منذ الحرب العالمية الثانية حتى الان . وبالنسبة للوطن العربي استطاعت الثـورة العربية تقويض معاقل الاستعمار في الكثير من الاقطار العربية . الا ان قواعد الاستعمار القديم والجديد وسيطرة الاحتكارات العالمية وقبضة الاقطاع والاستغلال العالمـي والمحلى وقيود التخلف تهيمن على الارض العربية حتى الوقت الحاضر .

عناصر الصراع :

لكن بروز نواة قوية للثورة العربية بلور حركة قومية ثورية بالمعنى الصحيح وبالنتيجة تخلفت الطبقات البرجوازية ذات المصالح المتناقضة في السوق الوطني عن الثورة العربية وفضلت الارتباط مع القوى الاستعمارية وهكذا نجد أن التناقض الداخلي في الوطن العربي يجسد عناصر الصراع المستقطبة على الشكل التالى : الجماهير الشعبية •• البورجوازية الوطنية ••• المثقفون • العمال • الجنود ، في جهة ، والعملاء والاقطاعيون والبورجوازية المستغلة في جهة ثانية •

والحق أن جوهر التناقض بين الاستعمار والجماهير الشعبية هو تناقض طبقى يعتمد على اختلاف المصالح يجسد ذلك :

١ ـ اعتبار الثورة الوطنية ثورة ذات مهام سياسية واقتصادية تتلخص في انجاز مهمة الاستقلال السياسى والاقتصادى واطلاق حريات الجماهير •

٢ ـ اعتبار الثورة الوطنية ذات مسار قومي واشتراكى يوصل الى الانتقال المباشر للتحول الاشتراكي عن طريق تفجير الصراع بين قطبي المجتمع الجماهير ومستغليها • وهؤلاء يرتبطون مباشرة بالمصالح الاستعمارية بل انهم وجدوا بوجودها •

تفجير الجبهة من الداخل :

اذن الاعتماد على الجماهير لن يكون الا عن طريق تفجير الجبهة من الداخل كما يقول المثل العربي • وتفجير الجبهة من الداخل يعنى عزل الرجعية سياسيا واقتصاديا • ضرب المصالح المعادية لحركة الجماهير •• تخطى الاساليب البيروقراطية وسيلة وسياسة ومنهجا • قطع

شرايين البترول عن الغرب في حالة الصدام المباشر مع اسرائيل وعند دخول الغرب كطرف نزاع أساسى .

أسلحة الردع :

ويظهر سلاح قطع المصالح الغربية والامريكية الموجودة في الوطن العربي من أقوى الاسلحة فلو أيقن الغرب تماما ان كل مصالحه ستنسف حقيقة مرة واحدة وسيطرد الى الابد من المنطقة فأغلب الاحتمال انه سيعيد النظر كثيرا قبل أن يتدخل طبقا لستراتيجية ونظرية ـ المثلث المضطرب ـ واذا كان البترول هو أهم هذه الاسلحة . كانت الولايات المتحدة الامريكية ذات مصالح مباشرة بترولية . فيجب أن يوضح لها ان أي بادرة من تدخل تعنى ليس فقط قطع تدفق الانتاج كما كانت تجربة العدوان الثلاثي . ولكن التأميم المطلق المباشر ، والتأميم بلا تعويض على الاطلاق ، وهى مصادرة شرعية يقرها القانون الدولى لقاء العدوان الخارجي .

الرجعية العربية ذنب الافعى :

غير ان كلا الرادعين .. تفجير طاقات الجماهير . والمصالح البترولية ، يستدعى الحد الاقصى من وحدة الشعوب العربية . فلا يمكن السماح للخيانات الانتهازية المبيتة ، ولا يمكن السماح قبول مشاركة الرجعية في المعركة ضد اسرائيل ، فمصالح الرجعية العربية والاستعمار تقبل القسمة على اثنين . وهذا يعود بنا على الفور الى ضرورة كشف البراقع عن وجه الرجعية نهائيا واجتثاثها من جبهتنا الداخلية . وعندئذ . وفي بداية المعركة مع اسرائيل تسقط الانظمة الرجعية واحدة بعد

الاخرى • وتلك هى اللحظة الحاسمة •

وهذا يؤكد أن المعركة مع اسرائيل لا تعنى مهادنة الرجعية العربية والا وقعنا بورطة تشبه ورطة مؤتمرات القمة • فالرجعية تحرص أن تكون في حماسها ضد اسرائيل أكثر تطرفا • بيد انها تخفى خلف ذلك التطرف تواطؤا غير معلن أو حلفا غير معقود •

الخلاصة المنطقية :

ونخلص من هذا منطقيا • ان أبعاد الصراع العربي ـ الاسرائيلي ذات مساس مباشر بالقضايا الداخلية في بنية المجتمع العربي وعناصر الصراع فيه وذات علاقة وثقى بالمواجهة الجدية للاستعمار الجديد ، وتلك الابعاد تصل الى قمتها ـ وذروة دلالتها ـ عندما نرى الخط البياني الصاعد واضحا بالنسبة للعداء الامريكي الكامن للعرب • وهذا الخط يصل الى أبعد حدوده في مرحلته الراهنة التى لا جدال فيها • ومن لزوم ما لا يلزم أن نضيف ان أمريكا هى التى تقف وراء اسرائيل الآن • ومواجهة أمريكا بالنسبة للعرب يعنى مواجهة الحضارة الغربية برمتها • والعدو الاسرائيلي المهيىء من جانبه لا يفتأ يهدد من حين الى اخر بانه لا يقف وحيدا وان له أصدقاء أقوياء الخ •• ترى هل نستطيع مواجهة التحدى الامريكى •؟ الاجابة العلمية ـ المباشرة ـ هي أن الجزم مستحيل نفيا وايجابا ولعل هذا ليس من دواعي قلق المفكر السياسى فحسب • وانما من دواعي قلق الامة العربية التى تجتذبها الكثير من العوامل والصراعات • فهل تستطيع امتنا تفجير طاقاتها الجبارة ؟•• ذلك ما ستجيب عنه الاحداث والوقائع المقبلة •

الفصل الثاني

ابعاد النظرية الاميركية المعادية للثورة

لكي ندرك تطـــور ظاهرة الاستعمار الامريكي والقـــوة الحضارية الامريكية لابد لنا من عودة الى الوراء لنرى الظروف التي ولد فيها منذ أكثر من ربع قرن ولنرى بالاخص طبيعته وأهدافه وخصائصه .

كانت الولايات المتحدة لظروف تاريخية وعوامل موضوعية هي أول من اهتـدى ـ لفضائل ـ الاستعمار الجديد ـ الـــذي هو نهب ثروات الشعوب وفائض قيمة العمـل بواسطة الاحتكارات دون حاجـة للحضور العسكرى ـ الاحتلال ـ على نحـو مكشوف وكاسـح ، وانما بواسـطة تنصيب ودعـم أنظمة عميلـة والاستفادة حتـى النهاية من التواطؤ معهـا ـ بالمساعدات ـ الاقتصادية التـى تستهدف أول ما تستهدف الابقـاء على البلـد الذي تنهبـه الاحتكارات الاجنبية غـير صناعي ومتخلفا بل مجرد مصدر للمواد الخام التي تبتز منـه بسعر التراب وتباع اليـه بعدئذ على شكل بضائع استهلاكية .

الرافد الطبيعي :

والرافد الطبيعي لهذه المساعدات الاقتصادية هو المساعدات العسكرية :

ارسال مستشارين (عسكريين لتدريب أجهزة القمع على أساليب الاضطهاد وملاحقة الاحـرار) .

وفي نفس الوقت رصـد الحركات الوطنيـة والثورات الشـعبية والقوميـة للقضاء عليهـا في المهد .. ثم ادخـال البلد المنهوب في دوامـة الاحلاف واقامة القواعد العسكرية على ترابـه .

اذن الاستعمار الامريكي الجديـد يختلف شـكلا لا جوهرا عـن الاستعمار القديـم بكونه مشروع سـيطرة اقتصادية وسياسية وثقافيـة وايديولوجية واستراتيجية ملفوفة بكلمات جذابة من طراز ـ المساعدات ـ ـ والاستقلال المتكامل ـ والنضال مـن أجل سلام كريم ـ والتحالف في سبيل التقدم وهذا ما حاوله الاستعمار الامريكي الجديد في جميع أنحـاء العالم وخاصة في فيتنام التي هي كما يقول ماكسويل تايلر رئيس أركان حرب الجيش الامريكي السابق والسفير السابق في سايغون بوتقة اختبار لنظرية الحرب الخاصة .

تناقض الاضداد :

ولا أريد هنا استعراض تاريخ الاستعمار الامريكي في فيتنـام فهذا شيء لا يتسع له المجال هنا .. الا ان الذي أبغى توكيده هو ان الحرب الفيتناميـة جعلت الاستعمار الامريكـي آخر مـن يضطر تحت ضربـات الثائرين الى العودة الى الاستعمار القديم اسلوبا وجوهرا : الغزو المسـلح ... وهذه ـ الظاهرة ـ بكـل عواقبها الموجودة والمحتملة ، هـي التى ينبغى علينـا نحن العرب أن لا نخطئها بالنظر عند كل محاولـة تقييم أو نقد واستعراض لعناصر القوة والضعف في الوضع العالمي الراهن وخاصة

فيما يتعلق بالثورة والثورة المضادة لا فى شرقنا العربى وانما فى جميع ابعاد القارات الملتهبة • لان هذا العدوان الهمجى يعبر عن عدول الاستعمار الجديد عن الاساليب الاقتصادية ولجوئه مباشرة الى فظاظة اساليب الاستعمار القديم التي استكملت ملامحها الاساسية على عهد رئاسة جونسن التي تتضمن ظاهرتين خطيرتين •

أولا : اتساع وعمق ثورات الشعوب المعادية للاستعمار والاستغلال الطبقي واندماج ثوراتها الوطنية بامالها القومية فى ايجاد مجتمعات اشتراكية عادلة •

ثانيا : تداعى الاستعمار الجديد اخر مراحل الامبريالية العالمية ووصوله الى حافة هاوية السقوط •

عبقرية الشر :

هكذا وضمن هذه الظواهر دخل الاستعمار الامريكى طريقا جديدا ، وتفتقت عبقريته في ذلك الطريق • وقد يسجل التاريخ البشرى في تاريخ نضال الشعوب عبقريات مبدعة الا ان عبقرية الشر التي تفتقت في رؤوس الامريكان وخاصة في اطار نظرية الحرب الخاصة تفوق الى حد بعيد اى تفكير شيطاني كما تفوق جميع مواهب المجرمين عبر آلاف السنين والى ان يصدر الحكم التاريخى القاطع بحق جرائم الاستعمار الامريكي ضد الشعوب في اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية فان دراسة التكنيك الامريكى المعادى للثورة من واجب الواجبات على المفكرين لكشفه واحباط نظريات الثورة المضادة والاسهام الجدى في بلورة الوعى الانسانى ضد ابشع استعمار شهده العالم • وذلك الكشف وتلك الدراسة بظنى •• مهمة ثورية

صعبة لكنها رائعة في نفس الوقت .. في قمة عبقرية الشر توجد - نظرية الحرب الخاصة - وهذه النظرية هى الشكل الفيتنامي للاستعمار الامريكي الذى يطبق فى جميع انحاء العالم والتي يظهر اسمها للمرة الاولى فى تاريخ الحروب المناهضة للثورات الشعبية .

ولقياس مدى الاهمية التى اناطتها بها قيادة الاركان الامبريالية الحاكمة فيواشنطن يكفيأن نعلمأن كنيدي أرسل نائبه آنذاك -جونسن- ليحذر حكام سايغون من تعاظم الثورة المضادة ببركات نظرية الحرب الخاصة .

ما هي طبيعة الحرب الخاصة ؟

ان الحرب الخاصة ، تهدف كما اعلن ذلك منظراها البروفسور ستايلى والجنرال ماكسويل تايلر الى تهيئة فيتنام الجنوبية في بحر ١٨ شهرا فقط ويكون ذلك عن طريق اقامة :

١ - قرى استراتيجية معزولة عن نشاط الثوار ٢ - مواجهة الثوار بنسبة ٢٠ الى ١ لسحق جيوش التحرير في اى منطقة من العالم .

٣ - الاعتماد على اتكنيك الالى الرهيب للحضارة الامريكية واستعمال الغازات السامة والعناصر الكيماوية لابادة المحاصيل والحيوانات والتخلص من الاجيال ذات الصلابة الثورية ٤- وهذا هو الشيء المهم اجراء عمليات غسل الامخاخ بواسطة الاساليب النفسية المبتكرة والسيطرة كلية على أجهزة التربية والتعليم والصحافة والدعاية والادب والفكر .

٥ - الاهتمام الفائق بالمظلة النووية الواقية لكيلا تتدخل المعسكرات الاخرى المناهضة لامريكا .

... وقد اهتدى المنظرون الامريكيون لهذا الاكتشاف من دراسة مقارنة لخصائص حروب التحرير في العالم الثالث ، وبالاخص من نجاحاتهم في قمع الحركات الثورية في الفلبين والكونغو وبلاد امريكا اللاتينية .

كما ان اولئك المنظرين يعلقون فائق الاهتمام على الحرب الخاصة ويبغون جعلها نموذجا لقهر ثورات الشعوب المضطهدة واجهاضها وهى لا تزال في حالاتها الجنينية .

وهكذا أهلك الامريكان أكثر من مليوني فيتنامي بالحرب الخاصة عن طريق السجون الجماعية للموت البطيء والناجز احيانا والقصف المتواصل للقرى ، وتعقيم الذكور وتسميم مياه الانهار وابادة الماشية وحرق الغابات.

ومن هنا كان برتراند رسل على حق عندما قال : قد لا يكون ثمة من داع للتذكير بان الفيتناميين الذين هلكوا بين ٥٤ و ١٩٥٩ كانوا اكثر من الذين هلكوا منذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٦ .

ولكى نعطى صورة واضحة وجلية لوحشية الامريكان في حربهم العدوانية ضد الشعب الفيتنامي حتى عام ١٩٦٥ قتل الاميركيون ١٧٠ الف انسان.. أقعدوا بالتعذيب مايقارب ٨٠٠ألف. وضعوا في سجون خاصة أكثر من ٤٠٠ ألف جنوبي وضعوا في ألف سجن . انتهكوا أعراض خمسين ألف امرأة من مختلف الاعمار .

قتلوا اكثر من خمسة آلاف بواسطة بقر بطونهم ودفنهم احياء وبوسائل اخرى تثير الخزى والسخط والعار .

ازالوا عشرات القرى من الخريطة . وحشدوا خمسة ملايين انسان في ٨ آلاف معسكر سميت على التوالي « مناطق ازدهار » ومساكن جديدة ـ واخيرا قرى استراتيجية .

الحرب الخاصة والاوضاع فى الشرق الاوسط:

ونأتى الى الاوضاع الراهنة في الشرق الاوسط وامكانية تطبيق نظرية الحرب الخاصة في هذه المنطقة الستراتيجية .. تؤكد الانباء المتواترة ان الولايات المتحدة الامريكية تعد نفسها منذ أمد طويل لاحتمالين .

الاحتمال الاول :

جعل اسرائيل هى المحور الاساسى في استراتيجيتها المعادية للثورة وذلك يقتضى الدعم العسكرى والاقتصادى الكامل لاسرائيل . وقد تجلى ذلك في الاحتمال الاول - بالنسبة - لاسرائيل فصرح اكثر من مسؤول امريكى ان الولايات المتحدة ترى في القوة الذاتية الاسرائيلية الضمان الحقيقي لوجود الغرب معسكرا ومصلحة في الشرق الاوسط ناهيك عن حفاظ وجود اسرائيل .. ومن هذا المنطلق تدفقت المساعدات العسكرية والاقتصادية بشكل لم يسبق له مثيل .

اما الاحتمال الثاني :

تطبيق نظرية الحرب الخاصة عن طريق التدخل المباشر بجانب اسرائيل أو جانب العملاء . وقد اعدت الولايات المتحدة مخططات مباشرة عن طريق مواقع عدة تبدأ في المغرب العربي وترتكز في جنوب اليمن ، وجيزان ونجران ، وتنطلق من اسرائيل باتجاه سوريا . وحقيقة تلك المخططات واضحة كالشمس لا تقبل جدلا .. الا ان تحرك الجيش العربي المصرى أفسد هذه المخططات وقلبها رأسا على عقب، وبالتالى تأكد للولايات المتحدة ان الاحتمال الاول فاشل اساسا . فاسرائيل رغم الاسلحة الكثيرة والمساعدات الاقتصادية الهائلة تظل محدودة القوى البشرية ومحدودة الارض بازاء الارض العربية الواسعة والامكانيات والقوى البشرية المتفوقة

•• اسرائيل لا تريد السلاح الان فتكدس السلاح يعنى تحول اسرائيل الى ترسانة متفجرة اذا ضربت بالطيران العربي تدمر السكان ومراكز التموين الخلفية • وقد قال ليفي اشكول لابا ايبان وزير خارجيته عندما سافر لامريكا • مؤخرا • اسألهم ماذا يستطيعون تقديمه لنا بالضبط • ماذا يستيطعون تقديمه لنا عمليا • ما هو الجهد الذى يستطيعون القيام به بأنفسهم في المعركة •• نحن لا نريد سلاحا الان • اذا ما أعطونا سلاحا فلن نجد الايدى التي تحمله • قل لهم نحن نريدهم معنا في المعركة •• نريد ضمانا باشتراك الاسطول السادس وخصوصا بطائراته • كما نريد دعما بشريا » •

اذن لابد لامريكا من تطبيق نظرية الحرب من الداخل بواسطة الرجعية العربية واسرائيل لصالح الحرب الخاصة التى تنطلق معربدة بلا وازع ولا رادع فى مغامرة عسكرية عدوانية انكشارية الشكل والمحتوى • لابد من ذلك لان التوازن الذرى بين امريكا والاتحاد السوفياتي يسمح بالتحركات التقليدية •

وأخطر من ذلك فأمريكا تملك في المنطقة التى تحارب فيها قواعد حربية ضخمة • في المغرب وتونس • وليبيا • والسعودية • تساعدها قواعد بريطانية في قبرص وعدن وليبيا والبحرين ومالطة وجبل طارق •• واذا كانت الرجعية العربية قد تراجعت عن مواقفها المكشوفة التي تواطأت فيها مع امريكا ، فان الاخيرة ترسم لها دورا جديدا •

هي اذن حرب عدوانية••الجانب العسكري فيها يعتمد كلية على المواجهة الحدية بين العرب من جهة واسرائيل وامريكا من جهة ثانية •

ولكن هل تستطيع امريكا تطبيق نظرية الحرب الخاصة كلية وما هى احتمالات الفشل والنجاح ؟.

السير في طريق مسدود :

للجواب على ذلك لابد ان ننظر اولا وقبل كل شيء الى الواقع الذى ابتدعت فيه تلك النظرية واقصد به الواقع الفيتنامى . فلقد فشلت نظرية الحرب الخاصة المعادية للثورة فشلا ذريعا واصبح ديالكتيك الثورة المضادة فى الحرب المناهضة للشعوب يمشى على رأسه . فحروب التحرير لها قوانينها الخاصة فهى تستمد قوتها الكفاحية من الشعب . وكل تصاعد في الحرب العدوانية يعنى تصاعدا للقوة الشعبية . وهكذا حولت اساليب القمع والاضطهاد والتعذيب والتشريد والتجويع والابادة الجماعية الشعب الفيتنامى الى شعب مقاتل فزادت قوات الثوار وبالتالى ارتبطت جميع القوى بهم من فلاحين وعمال ومثقفين واصبح الشعب هو الممول والحامى للثوار ، هنا لجأت أمريكا الى اصطياد السمكة بتجفيف البحر بكل غباء ووقاحة فسعت الى تحشيد الشعب بقرى ستراتيجية في اكثر من ١٧٠٠ معتقل فيتنامى .. لكن الشعب حطم تلك القرى ولقد اعترف رئيس الاركان الامريكى بذلك .

على اية حال فشلت التاكتيكات الجديدة يا اكلى لحوم البشر في القرن العشرين وفشلها مرده الا ان طبيعة حروب التحرير ذات خصائص ديناميكية تسير طردا كلما تصاعدت عمليات القمع والجوع والاضطهاد .

وبالنسبة للشرق للشرق الاوسط نرى فشل نظرية الحرب الخاصة يلوح فى الافق اذ ان مجرد الاعلان عن وجود حشود عسكرية اسرائيلية

ضد سوريا وتحرك قوات ج٠ع٠م ، واغلاق خليج العقبة ، اثار الجماهير العربية ، ودفع الحكومات الى مواجهة الازمة كلا حسب موقعها السياسى والاجتماعي ٠

وتطبيق أمريكا لنظرية الحرب الخاصة يعنى المغامرة بمصير الرجعية العربية الحامية لاحتكارات البترول والاستثمارات الاخرى ، كما يعنى تصفية القواعد العسكرية في شتى ارجاء الوطن العربى ان لم نقل فى الشرق الاوسط كله كما ان احتمالات انفجار حروب تحرير شعبية كثيرة قد تنهك أمريكا الى أبعد الحدود ٠ والولايات المتحدة تدرك مخاطر تطبيق تلك النظرية سيما وانها غير مستعدة من الناحية الاقتصادية على تحمل استنزافات جديدة ٠ فلقد كلفت الحرب الفيتنامية امريكا والامريكيين من الاموال ما يكفى للانفاق على ثلاثين حربا من نوع حرب الجزائر ونفقاتها تمثل ١٠ بالمائة من مجموع الانتاج القومى فى امريكا ٠ وهذا ليس بالهين والصحافة الامريكية اول من يقر ذلك ٠ نفقات باهضة وعشرات الجنود يصرعون كل يوم تقريبا ٠ هذا بين عوامل أخرى لاتنى تتراكم (نيويورك تايمس) ٠

من الحرب الخاصة الى القوة الدولية البحرية :

وبالتأكيد لن يربح الامريكيون الحرب الخاصة حتى اذا طبقت نظريتها ٠ وبكل تأكيد ايضا الشعب العربي يستطيع ان يهزم الغزاة وان كان ذلك بثمن فادح ٠ ولكن امريكا الان تحاول تجميع قوات دولية بحرية لفك الحصار العربى ضد اسرائيل ترى ما هى احتمالات الموقف الدولى والعربى ؟

بظني ان مواجهة قوات الدول البحرية يفجر في الشعب العربى طاقات جبارة ويدفعه الى تصفية موارد الغرب والامريكان • وان كنت اعتقد ان القوة البحرية الدولية آخر لعبة في المسرحية يعقبها التدخل الامريكي المباشر ، أو مفاجأة خاصة والحرب التحررية تكن عندئذ حربنا جميعا • فيجب أن نشارك بها منذ الان بكل امكانياتنا وطاقاتنا لكى يكون النصر محتما • وذلك لن يكون بمعزل عن اضعاف الغرب وا مريكا اقتصاديا وتحشيد الرأى العام العالمي ضده وتحميس جميع فصائل الشعب لتخوض المعركة والبداية تكون بمقاطعة بضائعه وانتزاع امتيازات شركاته • وباختصار محاربة مصالحه في كل مكان ، واطلاق عنان الجماهير لتعطيب كل ما له علاقة طبقيا واقتصاديا وسياسيا وفكريا بالمجهود الحربى الامريكى أو مجهودات الدول الاستعمارية المشاركة ودعوة كل نقابات الموانىء العربية لمقاطعة شحن وتفريغ البضائع الامريكية والغربية • ودعوة كل اتحادات الكتاب في العالم للتركيز على موضوع العدوان الامريكى • ومن الموضوعية والعلم أن تنشر جميع فضائح امريكا في الفيتنام وكل شعب يناضل ضدها •

ولنا الى موضوع التعبئة العامة فى الحرب من نواحيها الاقتصادية والسياسية والفكرية لقاء •

الفصل الثالث

اخطر مؤامرة اميركية يهودية تواجه العالم

وعي ابعاد المؤامرة :

ان المثقف الذي يعي بمسؤولية .. أبعاد المؤامرة الامبريالية ـ الصهيونية التي تحاك ضد العالم كله ، يرى قبل كل شيء ان تحليل روابط الحضارة المعاصرة من اوجب الواجبات عليه في هذه المرحلة التي تكشفت فيها ابعاد المواقف الدولية ومواقع المعسكرات، ومن أجل هذا لابد لنا قبل كل شيء من امعان النظر بما وقع في الشرق العربي بعد الخامس من حزيران الجاري والانطلاق من هـذه النقطة الى الامور العامة التي تكون محتوى الصورة آخذين بالاعتبار تحليل الاجزاء وصولا الى تحليل الكليات . وهذا هو المدخل .

زراعة الملح :

عندما أصر الغرب على زرع الصهيونية في فلسطين ، في قلب الوطن العربي لم يصدر اصراره عن جهل وغباء ، فقد كان الغرب ولا يزال مثل ـ كانو ـ الرومانى المتعصب الذى زرع ارض قرطاجنة بالملح ، بحجة ان قرطاجنة تنتمى الى حضارة غير حضارة روما وتتعامل باخلاقيـــة غير

اخلاقيتها .. والوطن العربى ليس له من خطيئة امام الغرب وخاصة بريطانيا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية سوى كونه ذا امكانيات كبرى ويمكنه أن يصنع حضارة ذات نزوع انساني جديد اذا اتيح له أن ينمو بسلام . ولكن الخشية من المنافسة ، والخشية من استغلال تلك الامكانيات البترولية والزراعية والتعدينية الهائلة جعل العرب في نظر الغرب من المجرمين ، ومن هنا جاءت صرخة شبنجلر الذي أكد : على ان الغرب يرى ان جميع خيرات الشعوب الاخرى يجب ان تكون في حوزته وهذ هى البواعث الحقيقية لشروره .. ولقد حارب الغرب الوحدة العربية منذ اوائل هذا القرن واستعمر الارض العربية ونهب ثرواتها وأقام فيها استعماره الفكري واستغل الجماهير العربية اقتصاديا والى أبعد الحدود .. واقام الاحلاف والمعاهدات ومشاريع الدفاع المشترك ، والقواعد العسكرية، وضرب الثورة العربية بعنف وقسوة في مختلف أزمان وأمكنة القرن الراهن في وطننا العربي بالذات .

حصاد الريح وحساب البيدر :

وكى لا نبتعد عن الواقع نجد انفسنا ملزمين بالنظر الى فكرة القومية العربية التى يحاربها الغرب من خلال موقفها وامكانياتها الذاتية الراهنة . وليس من خلال التعاريف النظرية أو التاريخية لها، اذ ان الاخيرة لازالت غير موجهة للاحداث ومتى وصلنا الى المستوى الذى تكون فيه النظريات ذات تأثير مباشر على واقعنا ، نسجل ذلك تاريخيا ، أقول ذلك وانا ارى وجود اسرائيل كتعبير عن الوجود الصهيونى يعبر عن نوايا الغرب تجاهنا، كما ارى ان عداء الغرب الصريح والمستتر ضد العرب يتمثل في افواهه الشرهة المتمثلة بالاحتكارات البترولية والاستعمار الاقتصادى والثقافي . ومن

البداهة ذكر الوقائع والاحداث التي اظهر فيها الغرب عداءه للعرب ، لانها اصبحت من الكثرة بحيث لا تخفى حتى على اقل الناس ذكاء بله المثقفين والمفكرين ، ا لااننا اذا تعمقنا في اسباب ذلك العداء نجد العوامل التالية :

اولا :

موقف الغرب الحذر من حركة القومية العربية وتكامل شخصيتها التاريخية والسياسية ، وموقفه ازاء التطلعات الحضارية الكبيرة للعرب .

ثانيا :

شعور الغرب بانه الوصي على ثروات العرب وسبب ذلك تركيب الغرب الطبقي المبني على نهب ثروات الشعوب وخيراتها ، وكون الامبريالية – حضاريا – ذات مقومات نفعية واستغلالية رأسمالية وبالتالي فتطورها التاريخي يعبر عن عوامل بنائها الاقتصادي والاجتماعي .

ثالثا :

نفوذ الصهاينة في الغرب وسيطرتهم على المرافق الحساسة من اقتصاد وصحافة وتوجيه ثقافي . واشتباك مقومات الصهيونية كحركة معادية للشعوب بالامبريالية العالمية ، اضافة الى كون اليهودية ربيبة المال والتجارة والسمسرة المالية والبنكنوت والمؤامرات والتضليل والباطل .

رابعا :

شعور الغربيين بالجريمة تجاه اليهود والحاحهم على تعويضهم بفلسطين . الا ان الغربيين في تفكيرهم هذا يعبرون عن احساس سايكولوجي .. انما يجسدون خطأ سايكولوجيا أعظم وأفدح بواسطة صب نقمتهم على العرب .

هذه الاسباب الاربعة لا يمكن اصلاحها أبدا فلقد اثبتت الوقائع والاحداث والنتائج انه لا يمكن مخاطبة الغرب من زاوية الحق ، بل على

العكس استغل الغرب كل نية حسنة الى ابعد مدى ومضى في تركيز مؤامراته في جميع مرافق حياتنا ، بث فينا فكره ، بث استعماره الاقتصادي ، اشاع التناحر والتناقض ، وقد وجد في بيئتنا على المستوى المحلي - والقومي - مجالا خصبا ، تلك البيئة المترهلة تاريخيا ، والتي تعج بمتناقضات اجتماعية وطبقية واقصادية ، وترسب فيها رواسب حضارية عديدة رعوية وبدوية وزراعية وقبلية ، فجاءت الحضارة الغربية لتبث في البيئة العربية تناقضات أخرى تمثلت بالمفاهيم الغربية بشكل عام ، ان الغرب بوجهه الثقافي والاقتصادي استطاع أن يبث في الذات العربية التناقضات التي لا تحصى واضاف الى تناقضاتها قضايا متفجرة تسعى الى تثبيت التجزئة والاقليمية والطبقات المرتبطة بالامبريالية والاستعمار الاقتصادي والثقافي ، وذلك هو حصاد الريح في حساب البيدر الذي جناه العرب من الغرب .

الاحداث الاخيرة ماذا تكشف ؟

ونصل بعدئذ الى حقيقة أساسية وراء الاسباب الاربعة التي ذكرناها مسبقا الا وهي المؤامرة الصهيونية الامبريالية على العالم ، فقد دللت جميع الوقائع والاحداث في العالم ان الغرب يتواطأ مع الصهيونية لتنفيذ مؤامراتها على العالم كله . ومن هنا أهمية كشف ابعاد تلك المؤامرة والحديث عنها ، والمعروف ان الصهيونية كفكرة أقدم من الامبريالية الا انها تنضوي وتلتحم فيها تاريخيا لتشابه البناء الطبقي في كلا النظريتين ووجود الوشائج القوية التي تربط الامبريالية بالصهيونية فكريا وعمليا ، اضافة الى شيء أهم من كل ذلك وهو ازدواج واقع الصهيونية في الغرب بواقع الامبريالية مصلحة ومصير .

ولذلك اؤكد ان احتلال فلسطين هو مشروع استعمارى بكل معنى الكلمة لتأسيس قاعدة عدوانية تعتمد على الاستيطان وابادة السكان المحليين وايجاد أنظمة فاشستية تعتمد على التعبئة الفكرية والاجتماعية والانتاجية وجعلها في صالح الحرب ومن ثم الانطلاق نحو التوسع بعد الاشباع ، واسرائيل تحمل خصائص الاستعمار القديم : الكولونيالية ، والجديد الامبريالية ، كما تحمل خصائص الغزوات والاجتياحات البربرية في عهد الرومان واليونان .. الا ان اخطر مافي اسرائيل هي كونها منطلق مؤامرة عالمية ، ولقد كشفت الاحداث منذ عام ١٩٤٨ وحتى الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ أبعاد تلك المؤامرة .

الجذور التاريخية

ومن المهم ان نلاحظ ان المؤامرة المذكورة ذات ابعاد وجذور تاريخية ولو رجعنا الى بروتوكولات بنى صهيون وكتاب التلمود الذى هو التوراة الشفوية المحتوية على مجموعة القواعد والشرائع اليهودية المتناقلة والموضوعة والمدروسة والتفاسير التي وضعها الاحبار والحكام تنفيذا للمصالح اليهودية ، لوجدنا ان الجذور التاريخية تكشف عن وجه المؤامرة البشع ، كما ان هناك كتاب ـ كابالا ـ اليهودى المشهور ، كتاب الرعب والارهاب المحتوى على الافكار الرجعية الدجلية التي ترفضها جميع الشرائع رفضا باتا وتقاومها القوانين والافكار والشعوب مقاومة شديدة ، وهو كتاب مليء بالسحر يبحث في عالم الشيطان والارواح الشريرة وعالم الاموات ، وله طقوس سرية، ويقال ان طقوس الماسونية مأخوذة منه ، كما ان تلك الطقوس يطبقها

اليهود واعوانهم من الامبرياليين على جميع العلاقات في انحاء العالم.

ماذا وراء الاحداث منذ العصر التجاري حتى الان ؟

ولو استعرضنا الوقائع التاريخية منذ بروز بريطانيا كأول دولة استعمارية تجارية لرأينا تطابق الاحداث مع الخط البياني للفكر الصهيوني الذى تخفى خلف حقوق الانسان تارة ، وخلف الحرية الاقتصادية تارة أخرى وخلف الليبرالية والراديكالية والديمقراطية . ولقد استخدمت الصهيونية الانكليز والامريكان في تنفيذ أهدافها واستفادت الى حد كبير من الترابط العضوي بينها وبين الامبريالية ، وراحت تخطط للسيطرة على العالم ، والبرنامج السياسى للصهيونية غنى بالفكر الميكيافيلي ويضع في حساباته البعيدة ان المؤامرة على العالم لا تستطيع تحقيق اهداف الصهيونية الا اذا وعت الصهيونية نسبية الاحداث وتنفيذ الخطط كل على حدة وعدم كشف الاوراق ، وضرب المصالح الدولية ببعضها والتغلغل داخل الاحزاب وخاصة الاحزاب اليسارية لان المستقبل لصالحها واستخدام الافكار التقدمية كستار وغطاء .

وهذا هو الاساس العقائدى والعملى للحركة الصهيونية ، وثمة سمة هامة في تنفيذ البرنامج السياسى المذكور ، هى انه ، وان يكن البرنامج مرحلى التنفيذ على حقب متباعدة ، الا انه لا يقبل التجزئة من حيث الاساس ، انه متكامل لا يصبح انجازا تاريخيا اذا هو اسقط أيا من شروطه الجغرافية أو البشرية او العقائدية ، وطبيعى ان الصهيونية انتظرت نصف قرن بكامله الى ان انجزت مرحلة

ـ ايجاد ـ اسرائيل ثم انجزت مرحلة التركيز والان هي تنفذ مرحلة الامتداد والتوسع ومن ثم انشاء امبراطورية تجتاح العالم بأسره بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ .

هل كان العرب بمستوى التحدي ؟

على هذا الاساس ـ اي بالاستناد الى الوثيقة الخاصة باطماع الصهيونية العالمية ومعاضدة الامبريالية البريطانية والامريكية بعدئذ، نرى ابعاد المؤامرة التي تهدد العالم ، ومن المؤسف حقا ان الكثير من (اصدقاء العرب) لم يعوا هذه الحقيقة وظلوا أسيري عقدة العداء ضد اللاسامية في حين ينسون ان العرب من الساميين ، واذا نحن واجهنا حقيقة المؤامرة في واقعنا العربي وجدنا الانكليز والامريكان ينفذون هذا المخطط الذي يحقق مصالحهم في العالم والوطن العربي بالذات ، ولذلك فهم لم يألوا جهدا بانجاز كافة مستلزمات المؤامرة المذكورة .

ولعل اكبر خطيئة ارتكبها الغرب بحق العرب هي تنفيذ هذه المؤامرة فوق أرضهم وعلى حسابهم ، وهكذا فرض الغرب التحدي على العرب في الوقت الذي لا تزال اوضاعهم الاجتماعية والفكرية متخلفة وغير صالحة للرد على التحدي ولا زالت غير مكتملة ، وكان الغرب يعي جميع هذه الامور فانتهزها فرصة تاريخية لتثبيت اهدافه بالحيلة والخديعة والقوة والبطش والغدر .

فالغرب يتقن فن الحيلة الذي هو أجدى في أي معركة حضارية من سلاح الاخلاق ، وهدف الغرب من وراء ذلك تعطيل

طاقات العرب وشل امكانياتهم ، واستخدام مواقع ارضهم الستراتيجية لتحقيق اغراضه العسكرية والاقتصادية والسياسية ، يقول المفكر العسكرى الالماني كلوزويتزر ان تركيز الغرب لاسرائيل في فلسطين ليس سوى استمرار للحرب غير المعلنة بين العرب والغرب، منذ آجال طويلة ذمك لان الارض العربية ستصبح مسرح الاحداث الدولية في القريب العاجل ..»

وكانت استجابة العرب بازاء هذا التحدي هو انفجار الثورات في محاولة لطرح افكار تقدمية تستطيع تقنين الثروات والموارد والاعتناء بالطاقات البشرية الهائلة ، والثورة العربية مرت بمرحلتين الاولى مرحلة الثورة السياسية الوطنية واهدافها القضاء على الارتباط المباشر بالاستعمار وتعزيز الاستقلال الوطني واطلاق حريات الشعب ، والمرحلة الثانية ، مرحلة الثورة الاجتماعية وهذه الاخيرة حددت الطبقات الثورية والطبقات التي تقف بوجه الثورة وترتبط مصلحة وفكرا مع الاستعمار بصورة مباشرة او غير مباشرة ، وبدخول الثورة العربية هذه المرحلة تجسدت امامها مرحلة ثالثة هي التحول الى الاشتراكية ، الا انه من الملاحظ ان الاستعماريين استعجلوا المعركة مع العرب حتى لا تأخذ الامكانيات العربية دورها ولكيلا تنضج الاجيال وتعبأ الافكار وتحشد طاقات الامة .

استعجلوا العرب واستدرجوهم الى معركة لم يستعدوا لها الاستعداد الكامل ، ولدى الغرب رصيد كامل واحتياطي مضاد للثورة يتمثل بالرجعية العربية ، والمواقع الاقتصادية التي يحتلها . والعملاء والمندسون في كل جوانب القوى التقدمية واغلب جوانب المجتمع

العربي على شتى مستوياته القطرية والقومية ، والكثير من البيروقراطيين والمرتبطين بالمنظمات الماسونية وغير الماسونية ، ولذلك يدرك الانكليز والامريكان والصهاينة مواقع الضعف في المجتمع العربي وهم يحاربون العرب بمتناقضات مجتمعهم كما يدركون ان حالة (الترهل التاريخي) التي يعيشها الجسد العربي لا زالت موجودة في هذا القطر او ذاك كما ان هناك بعض الدمامل والاورام حتى في البلاد العربية المتحررة تنتظر اللحظة الموقوتة لكيما تنفجر ، وما تزال بعض الثورات متأنية خجولة ومتعثرة ، وما يزال الاطمئنان للحلم هو السائد ، بل ماتزال أفكارنا غير مبرمجة ومنظرة وممنهجة واعمالنا غير مدروسة ومنظمة ، في فكرنا وعقلنا واقتصادنا وجميع ما نتعامل به .

الرد الفوري الحاسم

والجواب الحاسم على التحديات الانكليزية ـ الامريكية ـ الصهيونية وعلى كل أهدافها ومآربها ، هي الوحدة العربية ، فيجب علينا نحن العرب التقدميين انقاذ الوحدة العربية من سوق المساومة والتضليل السياسي والشعارات الديماغوجية ، فكل هذه الاساليب تخدم الاستعمار واسرائيل بشكل مباشر او غير مباشر ، لقد استطاعوا تعجيز شعار الوحدة العربية وصادروا منه حقيقة الدعوة والعقيدة وحولوه الى متاجرة ومزايدة ومناقصة سياسية ، وهذا ما لا نرتضيه فالعمل من اجل الوحدة العربية ملك للشعب العربي ، لعماله ، لفلاحيه ، لكسبته ، لجنوده ، لمثقفيه . واذا كانت الوحدة احوج ما تكون الى التخطيط العلمي والبناء الاقتصادى الاشتراكي

المدروس فهي في نفس الوقت أحوج ما تكون الى البناء العقائدي ، فالشعب المؤمن هو الذي يجعل من مفكريه فلاسفة عمل وهو الذي يقتحم جميع العقبات والاهوال ويخلق الحضارات والمدنيات ، فما أحوجنا الى الرد الحاسم والفوري ولكن على المدى الطويل •

الاعتماد على النفس

أما الشيء الاخير الذي يجب ان نذكره في ختام بحثنا هذا فهو ضرورة الاعتماد الكامل على النفس ، لان المعركة الاخيرة مع اسرائيل اثبتت وبشكل قاطع ان الاصدقاء لا يستطيعون ايقاف الغادر وضرب المعتدي، كما ان المصالح الدولية ومنطق المنافع العالمية ومصالح الكتل والمعسكرات الى جانب الخطط الصهيونية والامبريالية التي تحاول اشراك جميع الاطراف في مؤامراتها على العالم ، تجعل العرب في غنى عن الاعتماد على الغير ، وبداية الاعتماد على النفس تعني ضرب عامل التخلف العلمي والتقني ، فالعرب مدعوون على عجل الى تصنيع انفسهم ، كما انهم مدعوون الى اقامة تنظيمات موحدة سياسيا وفكريا في شتى اقاليمهم وتذليل كافة الصعوبات أمام تقدمهم كما ان العناية بالثروة البشرية هي نقطة الانطلاق ، فقوانا البشرية الهائلة اذا نظمت استطاعت صنع المستحيل •• ذلك هو اقنوم الرد على التحدي ومواجهة الامبريالية العالمية والمؤامرة الصهيونية ، وكل تخلف عن ذلك يعني الموت والفناء •

فأما اختيار الموت بشجاعة وشرف ، وأما اختيار التحدي وتدمير العدو نهائيا •

الفصل الرابع

دراسة تحليلية لاستراتيجية اميركا في العدوان الاخير

شكل جديد للتدخل

لم يعد السؤال المطروح على الفكر العربي هو لماذا تدخلت أمريكا وبريطانيا لصالح اسرائيل وانما أصبح لماذا كان تدخلهما سرا وبصورة جديدة لم يسبق لها مثيل ؟

وللجواب على هذا السؤال نرى ان اسرائيل مهما كانت دولة عدوان او دولة عصابات عسكرية . فان طاقاتها الاستيعابية الكلية في النهاية محدودة بالقياس الى العرب ولذلك ضخ اصدقاؤها وخالقوها في شرايينها المتهتكة والمتصلبة من قوة وسلاح ما يفوق الحصر والعد ٤٠٠ دبابة قبل العدوان الاخير باربعة أيام ٢٠٠ طائرة في٢٩ أيار عام١٩٦٧ (١٠٠٠) طيار جاءوا قبل العدوان ببضعة أيام.

الضربة الاولى

ومع ذلك كان الغرب يدرك حقيقة أولية كالمعطيات البديهية التي لا تقبل جدلا وهي ان اسرائيل لا تستطيع الدخول في حرب طويلة المدى مع العرب . ولذلك اعتمد على نظرية جديدة في الحرب تتجسد في الضربة الخاطفة ورغم الفشل الذي اصاب نظرية الضربة

الخاطفة في خليج الخنازير عندما اندحرت قوات المرتزقة امام الجيش والشعب الكوبي • فان امريكا عولت هذه المرة كلية على انجاح استراتيجية الضربة الخاطفة في اسرائيل • ولقد وضع منظرو المخابرات الامريكية الخطة على الشكل التالى وحسبما ظهر فيالايام القليلة التي تلت العدوان •• تحشيد قوات اسرائيلية مدرعة وضخمة على الحدود السورية • تزويد اسرائيل بمظلة جوية كبيرة عنطريق الاسطول السادس الدولة العائمة في المحيطات والبحار •• جعل رافد الخبراء الرافد الاساسى في ايجاد طيارين غفيري العدد ، وبعدئذ تكون الضربة ضد سوريا خاطفة وسريعة يلعب فيها سلاح الطيران الامريكي المبرقع بعلامات سلاح الطيران الاسرائيلى الدور الرئيسى • وهذا العدوان ضمن احتمالين كل منهما سىء بالنسبة للعرب •

الاحتمال الاول

هو جعل العرب أمام حقيقة الامر الواقع الذي تحتل فيه اسرائيل سوريا بواسطة الضربة الخاطفة • مما يدفع الدول العربية التقدمية الى الدخول في الحرب • وهنا يكون تدخل الاسطول الامريكي أمرا سهلا وبسيطا وتجد أمريكا اكثر من حجة لذلك التدخل ••

الاحتمال الثاني

سكوت الدول العربية التقدمية وذهولها امام هول المفاجأة والصدمة ، الامر الذي يؤدي الى تصفية رصيدها شعبيا وبخاصة

الجمهورية العربية المتحدة ، ووضعها في موقف حرج تصادر فيه جميع امكانيات الدفع الثوري ..

نصل من هذا كله الى النتيجة الطبيعية للاشياء ، وهي ان خطة الضربة العسكرية الخاطفة ظلت هي الستراتجية الثابتة ضمن نظرية اوسع واكبر : المثلث المضطرب ـ التي تحدثنا عنها بعد العدوان بيومين وشرحنا خصائصها وطبيعتها .. الا ان الذي تبدل هي الدولة المقصودة بالعدوان . فبعد الحشود العربية على سيناء واحتلال شرم الشيخ واغلاق خليج العقبة بوجه السفن الاسرائيلية . حولت اهداف الخطة من سوريا الى الجمهورية العربية المتحدة وبذلك أصبح دور اسرائيل اللقيط المنبوذ للولايات المتحدة الامريكية القيام بالمهمة خير قيام .

التضليل السياسي لماذا ؟

هنا راحت الولايات المتحدة تمارس أكبر عملية خداع في تاريخها السياسي المليء بالاضاليل والاكاذيب والخداع ، فصورت نفسها داعية السلام الذي يريد حمل الاطراف المتنازعة على الوئام أو على أقل تقدير على الركون الى الحلول الوسط . وابتدعت فكرة ضبط النفس . ولقد ذكرت قبل العدوان باسبوع واحد ان فلسفة ضبط الاعصاب ما هي الا ستارتطبخ أمريكا خلفها طبخة جديدة كما ذكرت : ان تاريخ الولايات المتحدة لا يعرف غير الغدر والخسة فلسفة وفكرا وان فكرة ضبط النفس خداع سياسي بارع تريد أمريكا تخدير العرب به وأخذ زمام المبادأة من أيديهم في الوقت المناسب .

على أية حال مارست أمريكا عملية التضليل السياسى لاخفاء خططها الستراتيجية وحتى تنضج ظروف الصدام الحتمي بينها وبين العرب .. وقد نجحت في استدراج اصدقاء العرب الى مواقع قريبة من مواقعها ، وكان هؤلاء الاصدقاء حسني النية قد فاتهم تاريخ الغدر الامريكي والاكاذيب السياسية الامريكية واذا هم يتلقون ردا قاسيا على حسن نواياهم في الخامس من حزيران .. وتأكد الاصدقاء وبعد فوات الاوان ان فلسفة ضبط النفس هي الوجه المقنع لستراتيجية أمريكية بشعة . كما ادركوا ان السياسة الامريكية ذات طبيعة ميكافيلية شكلا وجوهرا .

الستراتيجية العسكرية وراء التضليل السياسي العمدي

اذن حملات السلام الامريكية المزعومة في الشرق الاوسط ، لا تهدف ، مثقال ذرة الى انفراج الازمة ، وانما تهدف اساسا الى اخفاء حقيقة النوايا العسكرية الى جانب تضليل الرأي العام العالمي وخداع المعارضة الداخلية ، او على حد تعبير الصحفي الفرنسى كلود جوليان : التخفيف من حدة النقد الداخلي والخارجي لسياسة الولايات المتحدة ، ولذا يصرح كابوت لودج احد غلاة الحرب الامريكيين : ان المشكل الكبير في سياستنا هو اننا نضمر غير ما نظهر .. « هل من سبيل امام ساسة البيت الابيض غير الكذب : السيدان راسك وتايلور دافعا في التلفزيون عن ملفيهما بدأب عجيب ، ومع ذلك فان هذين الملفين أساسا مزوران ومملوءان بالاكاذيب والسفسطة (نوفيل ابسر فوتور ٢٠-٧-٦٦) وطالما الاحتكارات اليهودية وغير اليهودية هي التي تهيمن على أهم وسائل الاعلام وأكثرها تأثيرا

لتكيف بها رأيا عاما غير ناج من سلبية ـ حضارة الاستهلاك ، فان المعارضة الداخلية لا تملك وسيلة حاسمة لكشف مغلطيها في الابان (عندما يكذب السيد مكنمارا فان الرأي العام الامريكي ليست لديه وسيلة للتمحيص ولذا يظل على جهله ـ نفس المصدر السابق ـ) •

هل الكذب السياسي أمر مشروع ؟

وهذا ما شجع الادارة الجونسونية الواثقة من انعـــدام اى رقابة شعبية عليها على اللجوء الى أردء ضروب الخداع خساسة • فقد وعد مكنمارا ـ وزير الحرب الامريكي السابق ـ بعد ان طبل وزمر بتخفيض عدد المدعوين للتجنيد • وهو وعد ظل بدون تحقيق لانه وعد بالمستحيل في منطق وصاية أمريكا ـ المزعومة ـ على العالم ، بما فيه الشرق الاوسط ، ومحاولتها تمثيـــل دور البوليس الدولي الارهابي الذي يفرض وصايته على العالم وصاية تتوهمها على أساس من حق الهي مقدس لايعرف له مصدرا او مبررا •

وليس معاونو الرئيس الامريكي هم وحدهم الذين يحتكرون الكذب على شعبهم وعلى شعوب الارض وعلى انفسهم ايضاء بل ان جونسون هو نفسه الذي ـ على حد تعبير هيرالد تربيون من البيت الابيض ـ يخلط بين الحقيقة ونصف الحقيقة ويعكسها ثم يتحـدى العالم كله ان يميز بينها • وفي سياق الحديث عن اكاذيب الحكومة الامريكية كتبت صحيفة سكرسبس هوارد الامريكية : مرارا عديدة ضبطت الحكومة الامريكية متلبسة بالكذب •• منكرة اشياء واقعيـــة وحقيقية اومفسرة لها بجزء من الحقيقة ينطوي طبعا على جزء مـن الـــكذب •

المجرم لا ينكر جريمته

ولماذا نذهب بعيدا بحثا عن شهود الاتهام في حين ان جميع الاحداث والوقائع العربية منذ الخامس من حزيران تدلل على ذلك • وقد دللت الجمهورية العربية المتحدة على ذلك بالارقام وحركة الطائرات والاسلحة واشتراك السفن الحربية الامريكية مع اسرائيل في عدوانها •• كما ان المجرم نفسه لا ينكر الجريمة المنسوبة اليه بل يتحملها بدون اى شعور بالاثم : الم يعلن مالكولم كلايدنوف مساعد الناطق الرسمي باسم جونسن يوم ٩-٩-٦٦ بان هناك لحظات يصبح فيها الكذب مشروعا •• ولعل خير تعقيب على هذا التصريح الوقح هو ما كتبته صحيفة واشنطن بوست بعد الضربة الخاطفة التي وجهها الطيران الامريكي والاسرائيلى الى العربية ألمتحدة في ألخامس من حزيرن : ان حكومة تشرع لتبرير حقها في الكذب على العالم والتنصل من مسؤوليتها في مشاركة اسرائيل الحرب ضد العرب في فترة الازمة لن تعدم ابدا لا كذبا ولا ازمة ! •

مسرحية الحياد

وبينما اعلن ناطق باسم البيت الابيض ليلة السادس من حزيران ان أمريكا محايدة في الحرب سلاحا وفكرا ودعاية كانت طائرات يوتو تحلق في أجواء العربية المتحدة لترشد المدافع الاسرائيلية المضادة للطائرات على المدى الراداري الذي حلقت فيه الطائرات العربية • كما كانت الاجهزة الالكترونية الامريكية التي تحملها سفن الاسطول السادس تحل الرموز والشفرات العربية وتعطيها لاسرائيل •

ان شهود الاتهام كثار والواقعة هي خير دليل حاسم لا يقبل النقض .. الا ان الذي نؤكده هنا من خلال استعراضنا لوسائل التضليل السياسي الامريكي، وكحقيقة بديهية لا تقبل جدلا : ان العرب لو كانت لديهم استراتيجية سياسية تقوم على فهم حركات الاستعماريين لحسبوا حسابا لكل تصريح او تلميح ولاخذوا الامور بدلالتها ، لان السياسات الميكافيلية لا تعتمد على القول الصادق ابدا ، فهي ترى ان الذريعة خير وسيلة ومبرر . وتاريخ الفكر الامريكي فلسفة وسياسة وواقعا يشهد بذلك .

ومن الممكن ربط السياسة بالستراتيجية العسكرية لان هذا الامر هو الشيء السائد في جميع أدوار التاريخ ، فمن ذا يستطيع بعد هذا ان يقول غير ذلك . ومن ذا الذي يستطيع ايجاد قاعدة جديدة ؟

فأمريكا التي اعلنت في كل المحافل الدولية ان اسرائيل وجدت لتبقى هي اشد حماة اسرائيل . لا بل ان اسرائيل شريحة أمريكية في قلب اسيا . وقد وصل الامر بامريكا تحويل اسرائيل الى ترسانة مسلحة وقاعدة ذات سكان يستوطنون الارض العربية ويحاولون قهر اهلها بالعنف والقوة .

غير ان أمريكا في الفترة الاخيرة ابت الا ان تضيف النفاق الى عدائها فهى رغم مشاركتها الفعلية في العدوان الاخير رأت أن تمثل دور المحايد لكيما تجعل العرب في دور المهزوم والجبان الذي لم يستطع مقاومة عدو أصغر منه في الامكانيات والقوى البشرية . ولكن هذا الخط المنافق يصل الى قمته ـ وذروة دلالته ـ عندما تمد

أمريكا اسرائيل سرا بجميع المساعدات الانية على شكل ١٣ دفعة من الطائرات كل دفعة ١٢ طائرة • والثابت الذي لا جدال فيه الان ان التدخل الامريكي والبريطاني هو الذي كفل رجحان ميزان المعركة لصالح اسرائيل •

أما سجل الولايات المتحدة الامريكية معنا نحن العرب ، والاحرى أن نقول قائمة الاجرام • فالولايات المتحدة هي التي خلقته بمحض ارادتها وأفعالها وليس قط بأى تحيز مسبق أو مركب ثابت من جانبنا •

امريكا اذن هي العدو الاكبر للامة العربية

ولا لوم علينا ولا تثريب في عدائنا لها فذلك قد فرضته هي علينا ولم نسع اليه • ونخلص من هذا منطقيا ان أمريكا لم تكتف بما حدث بل ستصعد المسألة الى أبعد حدود • وهذا النجاح السريع لمخططاتها سوف يغريها بمغامرات جديدة فلقد صرح العدو الاسرائيلي القميء انه لا يقف وحده في المعركة •• والحقيقة ان اسرائيل ستتحول الى قاعدة سكانية يستعمل فيها ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي ضد ١٠٠ أو ١٥٠ مليون أو ٢٠٠ مليون عربي في المستقبل ، والسلاح النووي هو سلاح المستقبل •• وكل الدلائل تشير أن أمريكا ستمد اسرائيل بالقنبلة الذرية ان لم تصنعها الاخيرة في معاملها ومصانعها المستوردة •

التحدي والرد على التحدي

أما الاجابة العلمية ـ المباشرة ـ التي يرتفع فيها العرب الى مستوى التحدي ، فتكون في ضرب العمل الهامشي الذي يباشرون فيه ويمارسون الحياة ، والاعتماد على العمل الحقيقي والجاد وربط

الستراتيجية العسكرية باقتصاديات قوية زراعية وصناعية منتجة وتنظيم القوى البشرية الهائلة واعتماد نظم الحكم على الجماهير العاملة صاحبة المصلحة في الحياة الجديدة .

الا ان ما يقلق المفكر السياسى هي مجموعة الاغراءات التي تخلق شبه توازن دقيق في الحياة العربية بين امكانيات الجواب على التحدى وبين الركون للواقع الراهن بكل سيئاته ومثالبه . وهناك مجموعة من المحاذير في الحياة العربية تجعل كفة الركود موازية لكفة الحركة .

ولكن مما يجعل المفكر السياسى متفائلا ، علاقة الخلق والحياة بصراع البقاء فمن بين الشد والجذب والنكسات والآلام تنبع الاحزان الكبيرة حاملة أكبر عوامل التحدى والثورات في التاريخ . وقد ظهرت فيما يلوح مؤشرات ترجح كفة الرد على التحدى .

سياسة القوة وسياسة التمويه

أما بالنسبة للعلاقة العضوية المشتركة بين أمريكا واسرائيل فان العدوان الاخير قد كشف عن خطط سرية وطرائق جديدة للتدخل غير المباشر . والذي دفع أمريكا وبريطانيا الى هذا السبيل هي امكانيات الشد والجذب بين سياسة القوة وسياسة التمويه ، سياسة العصا والهراوة والسوط اللاذع ممثلة في التدخل المباشر أو معاضدة العدو بواسطة الدعم العسكري المتواصل ووضع سفن وطائرات الاسطول السادس والقواعد الامريكية تحت تصرفه ، وبعدئذ المحافظة على (الامر الواقع) عن طريق ان ما حدث هو الامر الطبيعي وان المعركة الطويلة المدى تؤذى العرب الذين تكون مصلحتهم في الصلح مع اسرائيل ـ كذا ـ أما سياسة التمويه فتلجأ اليها أمريكا عندما

تخطط لمؤامرات جديدة .. فاذا نحن قارنا حقيقة أبعاد المستقبل على ضوء الواقع الراهن نجد التصعيد الذي تسعى اليه الولايات المتحدة . من أجل جعل اسرائيل ذات امكانيات نووية . كما اننا سنجابه أربعة احتمالات كأنماط وطرز للتدخل .

الطراز الاول

هو طراز سان دومنيكو ، والاول خارج عن المقارنة لانعدام التكافؤ وعدم شبه ظروف المستقبل للوضع في الدومنيكان .

الطراز الثاني

هو الطراز الكوبي اذ تضع أمريكا العالم أمام حافة الهاوية النووية (وتجعل المظلة الامريكية ـ النووية الواقية ـ شبيهة مظلة الطائرات في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ابان العدوان على العربية المتحدة وسوريا والاردن) .

الطراز الثالث

هو الطراز الفيتنامي وهذا محتمل الوقوع في اللحظة الراهنة التي أصبح التوازن الذري فيها مجالا لسياسة الهجوم الاستعمارية .

الطراز الرابع

هو الطراز العربي الاخير الذي تدخلت فيه أمريكا بصورة غير مباشرة لصالح العدو ، ويبدو من سياق ومنطق الاشياء ان هذا الطراز بعيد الاحتمال في أي صدام جديد ، لان توسع اسرائيل سيحيل انتصاراتها الى انكسارات بسبب قلة قواها البشرية وعدم قدرتها السيطرة على مناطق شاسعة وقوى بشرية هائلة . تمتصها ، ففي

بعض لحظات التاريخ تحيل الامم المغلوبة الامم الغازية الى قوى مفككة وتذيبها كلية في ذاتها .. اذن الطراز الكوبي هو الطراز المحتمل في التدخل الامريكي المقبل ..

وعلى ذلك نجد أن تعد الامة العربية لحرب طويلة المدى بقدر اعدادها لحرب خاطفة ضد العدو لتضع أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية أمام الامر الواقع !.

الباب الثاني

الموقف الصهيوني

الفصل الخامس

دراسة في السياسة الصهيونية

ان مشكلة فلسطين تعود في نشوئها الى مطلع القرن التاسع عشر •• عندما نمت الرأسمالية الاوروبية وبلغت مرحلة الاستعمار • وعندما وجدت الصهيونية العالمية في الامبريالية العنصر الاساسي الذي تستند عليه •

والصهيونية بطبيعتها ، استغلال بشع للطبيعة والانسان وقهر رهيب للامم •

والافكار والاوطان • وعلى الاخص امم آسيا وأفريقيا • ولذلك تشابكت مصلحة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية • وهذه الاخيرة أخذت تواجه شتى التحديات والضغوط من الامم المستضعفة التي تسيطر عليها الامر الذي جعلها تواجه امكانية السقوط عاجلا أم اجلا مع تطور التاريخ ويقظة الشعوب ونضالها •

وعلى الرغم من الصراعات التي كانت قائمة بين الدول الرأسمالية على المستعمرات والتناقضات بين احتكاراتها العالمية • فانها عندما وصلت الى مرحلة الاستعمار • لم تعدم التعاون وتنسيق الخطط لمواجهة الاحتمالات الثورية والتحررية • التي كانت بالطبيعة والجوهر

ومنطق الحياة هي الرد أو الجواب الذي توجهه شعوب آسيا وأفريقيا لتحديات الامبريالية العالميـة •

ولقـد كان من أقدم الخطط التي تعاونت على وضعها وتنفيذها الدول الرأسمالية واحتكاراتها العالميـة في سبيل مواجهة الاحتمالات • الخطط التي تستهدف اقامـة وتثبيت أوضاع طارئة في الوطن العربي تكون بمثابة ـ أمر واقع ـ يخدم تلك الاغراض ويتطور بتطورها •

وكانت هذه الخطط تنبع من المركز الستراتيجي الخاص الذي يتمتع به هذا الوطن من حيث يشد القارتين الكبيرتين آسيا وافريقيا احداهما الى الاخرى • وتمر منه الطرق البرية والمائية الاساسية التي تربط الدول الرأسمالية الاستعمارية بالمصالح الاستغلالية الهائلة النامية فيهما ، ذلك بالاضافة الى ما في الوطن العربي من ثروات طبيعيـة وبترولية ضخمة وقوى بشرية هائلة •

والى جانب ذلك •• فقد كانت تلك الخطط تجسم عقدا تاريخية قائمة لدى الدول الاستعمارية تجـاه الامة العربية وامكانياتها الهائلـة وقيمها وحضاراتها القديمة • اضافة الى خوف تلك الدول من قيـام دولة عربية واحدة تنافسها المكانة وتنتزع منها زمام المبادرة انها تخاف قيـام الدولة الواحدة لانها تدرك أي خطر تمثلـه تلك الدولة عـلى مصالحها الاستعمارية واحتكاراتها الاستغلالية •

ولقـد كان من أعرق وأخطـر الاساليب والوسائل الاستعمارية التي كانت تستهدف اقامة مثل هذه الاوضاع وتثبيتها في الوطن العربي• اصطناع اسفين ، غريب وغاز •• في قلب هذا الوطن ، يقوم حاجزا

بشريا وحضاريا يفصل امتداد الوطن العربي جغرافيا •• ويكون قاعدة استعمارية للانقضاض على حركات التحرر في آسيا وأفريقيا وبؤرة تخريب حضاري يعتمد عليها الاستعمار في مواجهة تفجير قوى الامة العربية •

من هـذا كله ، وبسببه وخدمـة لاغراضه ومطامعه واستغلالا تاريخيا له ، واقامة شركة مزدوجة واياه ، نشأت الحركة الصهيونية ، حركة سياسية استعمارية غازية عدوانية •• وسلاحا خبيثا من أسلحة الحضارة الغربية المعادية للشعوب وحركات التحرير • تلك الحضارة التي تملك (اليهودية العالمية) نسبا كبيرة من رؤوس أموالها وتمسك بعدد كبير من خيوط السيطرة على احتكاراتها وتوجيه دولها •

ولقد كانت الحركة الصهيونية منـذ النشأة (حركة) سياسية استعمارية غازيـة وغاصبة • يدفعها تحـالف الرأسمالية الامبرياليـة واليهودية العالميـة لخلق تجمع عدوانى ضـد الشعب العربي فـى « فلسطين » تحت لـواء ـ بعث اسرائيل ـ لجمع أشتات مـن الغزاة الذين يمثلـون في تكوينهم العقلى والمدنى أسـفل الدرك في حضيض الحضارة الغربيـة •• ويحملون اثارا ـ نفسية ـ معقـدة وترسبات أجيال متعاقبة تحقد على الانسانية جمعاء •

تلك الآثار والترسبات النفسية المنبثقة ـ تاريخيا ـ مـن عقدة ـ شـعب الله المختار ـ وشعار العودة الـى أرض اورشليم وامتلاك أرض الميعـاد •

مضمون الحركة الصهيونية ودوافعها وأهدافها ، اذن • معاديـة

للتاريخ وهـى الشريك الخبيث للامبريالية العالمية • الذي يصوغ لهـا أساليبها ويرسم لها مسالكها اللا أخلاقية ومؤامراتها ومخططاتها •

الصهيونية فلسفة الحاقد المريض

◆ لقد جاءت الصهيونية منذ البداية وبالنشأة ، حركة سياسية استعمارية • أهدافها الغزو والاغتصاب • وهى لذلك تهدف الى :

ـ اصطناع « قومية » مزيفة لليهود بغير أساس علمي أوتاريخي أو واقعي « قوميـة » تتحدى كل ولاء طبيعـي للمجتمعات والارض واللغة • وتنتزع من المجتمعات بالقوة ما تراه حقا • وهي لذلك عدوة حتى للمجتمعات التي يعيش فيهـا اليهود كمواطنين أجيالا عديدة ، لانها تنتزعهم مـن المجتمعات التي عاشوا فيها بفعـل التعصب الدينى والعنصرى • وبأساليب القسر والارهاب والترغيب المادى أو العسف الذهني الـذي يخلق لدى يهـود المجتمعات الانسانية عقدة القلـق والعصابية •• والصهيونية تسهم بوعي وتصميم في خلق وتقوية العداء للسامية وموجات الاضطهاد ضد اليهود في اوربا بما تملكه الرأسمالية اليهودية من نفوذ • وتمارسه من أساليب الاستغلال وألوانه لشعوب الـدول التي يعيش فيها اليهود • وما تقتـرفه من أنواع التحـديات والخيانات لقضايا هذه الدول في أحرج ظروفها ومعاركها •

حتى لـقد أسهمت الحركـة الصهيونية ـ كعنصر من عنـاصر الامبريالية العالميـة ـ في خلق النازيـة ونموها • بل وفي دفعها الـى سياسة اضطهاد اليهود • لانها بذلك كسبت عطف الـدول الاوربية • واستطاعت تمثيـل دور الحمل الوديع ، وانتزاع الوعود من بريطانيا

باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين •

والصهيونية لذلك تستغل ، ما أسهمت في صنعه من حملات الاضطهاد وموجات اللاساميه • وما غذته من رد فعل صهيوني حاقد ومريض للاضطهاد •• كي تخلق تيارا حركيا للفعالية الصهيونية • وتقيم أجواءا عالمية تخدم أغراضها ومطامعها •

◆ والصهيونية ترفض •• وتقاوم بوسائل العنف والارهاب المادي والمعنوي ، المعارضة حتى ولو كانت من بين اليهود أنفسهم • ترفض وتقاوم : الاقتراح أو الاتجاه الايجابي وحتى أدنى حدود النقد العلمي والانساني • في معالجة « الازمة اليهودية ما دام لا يتفق مع أهدافها ودوافعها العدوانية السياسية •

فترفض ، وتقاوم بتلك الوسائل وغيرها كل اقتراح واتجاه يدعو لتحديد الاسباب الموضوعية والتاريخية والواقعية لهذه الازمة فينادى من أجل حلها باندماج اليهود في مجتمعاتهم أو الشعوب التى ينتمون اليها أو يعيشون بين ظهرانيها •• وبضرورة الولاء لها كمواطنين فيها •• وكسر أطواق الانعزال والقوقعة والانغلاق العنصري والفكرى وابعاد اليهود عن امتهان الاستغلال ، والاحتكار وتجارة رأس المال والسمسرة كوسائل للعيش •

◆ لقد أعلنت الحركة الصهيونية منذ نشأتها انها تقاوم فكرة اندماج اليهود في الشعوب التى ينتمون اليها •• ثم رفضت وقاومت بوسائل العنف والغدر والخيانة والارهاب •• كل اقتراح أو اتجاه يطالب بفتح باب الهجرة الى الدول الاستعمارية الكبرى التي كانت تعلن ـ العطف ـ على اليهود ، ذلك العطف المصطنع ، وتزعم لنفسها

انها معاقل الحرية والعالم الحر •

كما ان الصهيونية العالمية رفضت كل اقتراح يدعو لاقامة وطن قومي لليهود في غير فلسطين ، يهاجرون اليه بمحض ارادتهم وينشؤونه دونما صراع مع سكانه الاصليين فلا تلحق هجرتهم اليه الاذى البالغ بشعب مستقر في وطنه منذ عشرات الاجيال ولا تكون تلك الهجرة وهذا الانشاء تحديا لطبيعة التاريخ وارادة الشعب الساكن في أرضه ، وعدوانا على حقوقه وافتئاتا صارخا عليها •

◆ رفضت الصهيونية اقامة وطن قومي لليهود في استراليا التي توجد فيها مساحات شاسعة تنازلت عنها الحكومة الاسترالية التي تدين للتاج البريطاني بالولاء •• كذلك رفضت اقامة وطن قومي لليهود في بعض البلاد الافريقية وفي اوغندا بالذات •• واختارت فلسطين ••

والصهيونية تقاوم بضراوة كل اتجاه يحذر من تحويل ـ اليهودية ـ من دين •• الى حركة قومية سياسية • وينادى بأن تكون فلسطين وطنا ـ روحيا ـ لليهودية كدين تتطلع اليه كما تتطلع الديانات الاخرى الى الاراضى المقدسة لديها •

◆ من ذلك نرى ان مقاومة العرب للصهيونية يمثل حقيقة أساسية في الصراع العربي الاسرائيلي واتجاها نضاليا وانسانيا يدعم حركة التاريخ والحياة وحرية الشعوب ••

الفصل السادس

لماذا تستعجل اسرائيل المعركة مع الجمهورية العربية المتحدة

الصهيونية وعقدة الاضطهاد

◆ على الرغم من وضوح أهداف الصهيونية التي شرحها كتاب وساسة صهاينة وساهم في فضح تلك الاهداف ساسة وكتاب يهود غير صهاينة وكشفوا القناع عن الطبيعة الاستعمارية للصهيونية المنبثة في كثير من المعاهدات والوثائق والمراسلات المعقودة والمتبادلة • رغم ذلك كله فان الحركة الصهيونية ـ كانت ـ ولا تزال تحاول أن تطرح نفسها ـ كفكرة ـ منقذة ـ لليهود ـ ولضمير العالم الانساني • وكأنها حركة شعب متكامل المقومات يحاول انقاذ نفسه من العسف الاستعمارى والاضطهاد العنصرى •

التخيل الكاذب

◆ كما تحاول الصهيونية تصوير نفسها وكأنها حركة ـ عودة ـ شعب ـ نفى عن أرضه ووطنه بقوة غاشمة • ولذلك ترى الصهيونية نفسها حركة دفع تقدمي حضارى في عالم قديم متخلف •

◆ بينما الصهيونية في الحقيقة والواقع هي حركة اضطهاد لامة

اخرى هي الامة العربية غير مسؤولة عما أصاب اليهود من اضطهاد في أوربا وألمانيا بالذات • ولم يعان اليهود الذين عاشوا بين ظهراني الامة العربية • عبر التاريخ أي اضطهاد أو تمييز عنصرى أو دينى •

كذلك فالصهيونية حركة استنزاف لطاقات الامة العربية• وحركة تخريب للحضارة وعبث ميكافيلى ورياضة سادية ، يقيمها في عالم يضم الامة العربية ذات التاريخ الاصيل والحضارة العريقة ، استعمار رهيب يؤمن بسحق الشعوب وطحنها تحت عجلة الحروب •

◆ وخلال ثلاثين عاما تمتد ما بين صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ وصدور قرار ترومان سنة ١٩٤٧ وصدور التصريح الثلاثي عام ١٩٥٠ وقع على كاهل الشعب العربي الفلسطيني أن يواجه أخطر المؤامرات الاستعمارية الصهيونية التي دبرت للامة العربية ومصيرها •• ونقلت الحركة الصهيونية نقطة ارتكازها داخل المعسكر الامبريالي العالمى من بريطانيا الى أمريكا •• تبعا لانتقال مركز الثقل والقيادة في هذا المعسكر •

التواطوء المشترك

◆ وبعد هذه الاعوام الثلاثين المليئة بالدروس والعبر تمكنت الصهيونية ـ كعنصر جديد ـ في الامبريالية العالمية وبتخطيط وتواطؤ مشترك بينهما ـ أن تقيم باسمها وباسم الاستعمار العالمي • ولاغراضها واغراض الاستعمار ـ تناقضا غريبا ـ في جسم الامة العربية وجرثومة تجعل كريات الدم تبقى تتقاتل وتتآكل وتدفع العظام الى التهشم والانسحاق•• تناقضا لايعرف له التاريخ مثيلا ، يشبه زراعة نبتة غريبة في بيئة غير بيئتها وواقع غير واقعها •

◆ أما بالنسبة لمشكلة فلسطين فتمتد في أبعادها عبر المكان لتشمل الوطن العربي كله • ثم تتخطى نطاقه الى قارة آسيا وأفريقيا حيث شعوب العالم الثالث المكافحة ضد الاستعمار والامبريالية فيكون لامتداد المشكلة على هذه الابعاد دلائل خطيرة وامتدادات وانعكاسات سلبية وايجابية ذات سمات عالمية •

◆ وهذه الابعاد التي تمتد عليها مشكلة فلسطين في واقع المكان • تبدو واضحة لدى تحليل الحركة الصهيونية في نشوئها وأغراضها وطبيعتها ولدى متابعة هذه الحركة في مسالكها وأساليبها حتى تمكنها من اقامة اسرائيل • نجدها ذات أطماع بعيدة المدى •• فهي تطمع بالسيطرة على قارتي اسيا وأفريقيا أغنى قارات العالم •

الخطة الجديدة

◆ الا ان تلك الابعاد تبدو وبصورة واضحة لدى تحليلنا لواقع – اسرائيل – الجسر الاستعماري الصهيوني التوسعي الغازي •

والعدوان الاخير الذي وقع في الخامس من حزيران هو الدليل الصادق على ما نقول ولدى ادراك تطلعات الصهاينة بعدئذ وبعد أن قام الاستعمار العالمي تجاه النضال الاسيوي الافريقي بل وعلى الصعيد العالمي بأخطر مؤامرة نجد نذر الحرب تدق مرة اخرى ••ولكن لتكن الجولة الاخيرة مع اسرائيل والنهائية•• الا ان اسرائيل تستعجل هذه الجولة وخاصة مع العربية المتحدة ، لانها تدرك ان الزمن ليس في صالحها وان سيناء ستتحول الى مقبرة لجيوشها التي امتدت خطوطها التموينية وأصبحت بعيدة عن قواعدها • الامر الذي يجعل حركتها بطيئة نوعا •• فلماذا تستعجل اسرائيل أو بالاحرى أمريكا – المعركة مع العرب ؟•• ولماذا

حاولت عدة مرات شن هجوم لغرض احتلال بور فؤاد وبورسعيد ؟..

للجواب على هذه التساؤلات .. لابد لنا من طرح الامور التالية:

أولا :

ترى أمريكا ومن بعدها اسرائيل ان اطالة الزمن في انتظار المعركة سيوفر الفرصة للجيوش العربية تسليح نفسها ومن ثم الاستعداد لمعركة فاصلة . وهذا ما تعارضه أمريكا جملة وتفصيلا .. فهي تريد استثمار الانتصار الموقت الذي حصلت عليه اسرائيل من أجل فرض شروطها السياسية وأطماعها الستراتيجية . وهذا يستدعي بالضرورة اجبار العربية المتحدة التي خاضت المعركة ضد اسرائيل على الجلوس مع الاخيرة .

ثانيا :

أدرك الشعب العربي وشعوب العالم الثالث كلها ان أغراض العدوان الاخير وغاياته كانت تستهدف ضرب النظام التحرري الاشتراكي في الـ ج.ع.م. وسوريا واغتصاب الضفة الغربية من الاردن ، لكيما يتمكن الاستعمار الامريكي وقاعدته : اسرائيل (التحكم المطلق في الارض العربية وثرواتها دونما حساب) .

وعندما استعملت المخابرات الامريكية في العدوان الثلاثي الاخير كل خبراتها التكنولوجية واستطاعت توجيه ضربة سريعة وعنيفة الى قاعدة الثورة العربية في القاهرة ، أصابت الشعب العربي (بدوار النكسة) محاولة استغلال الآثار النفسية لتي نجمت عن نتيجة العدوان الى أبعد الحدود وبالتالى اسقاط عبد الناصر المناضل والقائد العربي الثوري الذي يعتبره الغرب وأمريكا خاصة (أخطر على الولايات

المتحدة من الكتل الاخرى المعادية لها) على حد تعبير الرئيس الامريكى السابق دوايت ايزنهاور .

◆ وهكذا عندما لم يحقق العدوان أغراضه ولم يسقط الحكم في القاهرة بسبب انتفاضة الشعب العربي هناك يوم ٩ - ١٠ حزيران وأخذه زمام المبادأة من المستعمرين تأكد لامريكا أن العدوان لم يحقق أغراضه كلية كما صرحت بذلك مجلة نيويورك تايمس نقلا عن دوائر البنتاغون والمخابرات المركزية .

ثالثا :

ومن أجل ذلك تحاول المخابرات المركزية الامريكية ، تحريك اسرائيل ضد الجمهورية العربية المتحدة لاستدراجها الى معركة لم يحن وقتها بعد . وقد حسبت المخابرات الامريكية حسابا لكل شيء . فطائرات وأقمار التجسس لا زالت تحوم في أجواء الـ ج.ع.م. ولا زالت الاتصالات بالطابور الخامس مستمرة ، سيما وان هناك أحتياطى كبير مضاد للثورة في ج.ع.م. من الذين تربوا في عهد التبعية السياسية والاقتصادية للانكليز أو الذين ورثوا الامتيازات الطبقية والوظيفية من سلالات الباشوات وغيرهم ، اضافة الى المرابين وسماسرة المال والكلام ووكلاء الشركات الاجنبية الذين كما يقول اندرو تولى مؤلف كتاب (نشاط المخابرات الامريكية في الشرق الاوسط) أغلبهم من الموالين للغرب وأمريكا بالذات . وقد نجد أحد الشركاء الذي تسجل باسمه وكالات الشركة الامريكية من المعادين لامريكا ، الا اننا نجد أيضا الى جانبه شريكا متعصبا للغرب والولايات المتحدة . وهذا الاخيرهو الذي يقوم مقام القيم على المصالح الامريكية ويكون بمثابة

الراصد ، ولنضغط هنا على كلمة (الراصد) وقس على ذلك الجوانب الاخرى المرتبطة بالغرب وأمريكا !.

رابعـــا :

عندما فشلت الامم المتحدة في ادانة اسرائيل ولم يحصل مشـــروع الدول غير المنحازة على ثلثي الاصوات ، بواسطة الضغط الامريكي على الدول حديثة الاستقلال او الدول المرتبطة بالاحتكارات البترولية أو التعدينية الامريكية ووجود احتياطي ضخم من أصوات دول أمريكا اللاتينية القارة الامريكية ـ شبه المقفلة ـ تمادت اسرائيل وراحت تتيه خيلاء وعظمة واصيبت بالغرور الى الحد الذي تصورت فيه انهـا قادرة على فرض مقاييسها وشروطها بالقوة . تدعمها الحضارة الامريكيـة العدوانية ذات المستوى التكنولوجي العالي التي ترى في القوة الرمز الذي لا يقهر للفعالية النفعية والفلسفة الذرائعية التي تسير بموجبها .

وبهذا المقياس ذاته تحاول الصهيونية العالميـــة التي هي ـ عنصر جديد ـ في ألامبريالية العالمية ، كما ذكرنا ، فرض معركة جـديدة على العرب وخاصة الجمهورية العربية المتحـــدة .. وحقيقة موقف الصهيونية العالمية تبدو الان في ايمانها بالنهب والسلب واجتثاث الجنس العربي ومنطق القوة المـادية . بالاسترقاق والاستعباد فلسفة وتطبيقا تعيد الانسان الى القرون الاولى .

واذا كانت الصهيونية العالمية تستند على الحضارة الامريكيـــة العدوانية فاننا نؤكد ان الحضارة ليست في مستوى التقدم التكنولوجي فقط . انما الحضارة تظهر في السلوك والفكر والتقدم والمثل والقيم .

ولو اخذنا مقياس القوة كنمط حضارى لوجب علينا اعتبار الوندال

والهون والتتار والنازي والفاشست اكثر حضارة من الشعوب الاخرى .. فلقد انتهت مظاهر القوة غير المدعومة بالحق الى الخذلان واندحرت جحافل التتار والنازي والوندال وروما وبقى التاريخ يسجل للانسان صراعا مستمرا مع الباطل .

ومن هذا المقياس ننطلق في فهم صراعنا مع القوة الامريكية ـ الانكليزية ـ الصهيونية الغازية . ومعركتنا القادمة مع اسرائيل هي معركة قوى التقدم مع قوة الرجعية . معركة الخير مع الشر . معركة قوى الحضارة الانسانية التي تؤمن بالحق شريعة وبالعدل دستورا وبالاشتراكية طريقا ، وبالسلام مبدأ ، والوحدة هدفا والحرية عقيدة ، والانسان غاية .

شريعة الاجرام

واذا كانت أمريكا وانكلترا واسرائيل قد اختارت زمان ومكان معركة الخامس من حزيران وضربت الجيوش العربية بغتة وبجبن وخسة واستعملت اقصى درجات العنف والاغتصاب والسلب والنهب ، وارتكبت من الجرائم البشعة ما يضعها على صعيد واحد مع أعتى القوى الشريرة في التاريخ البشري . فلانها تعبر عن طبيعتها الشريرة وطبيعة القوى الاحتكارية التي تسيرها فالارهاب الوحشي سمة المتأخرين وليس المتحضرين ، ولم تعرف الجيوش التي اسست الحضارات العظيمة الارهاب الوحشي ، لانها ناضلت من اجل الانسان .. من أجل العقيدة .. وأقسى صور البطش والارهاب يجسدها الجبان الرعديد الذي يعكس جبنه قوة وشراسة بواسطة سلاح رهيب يمتلكه وعدة كبيرة يقتنيها .

والصهاينة في عنفهم المتطرف انما يفتعلون التضاد ـ السادي ـ المازوكي الذي اختلقوه مع بيئاتهم • ولذلك فهم ينقمون على العرب الذي يمثلون الجانب الانساني الاكثر تحضرا •

واليهود الصهاينة في عنفهم هذا هم أقارب الاوربيين والامريكان بل هم في الاعم والاغلب جـــزء وبعض منهم ، وشريحة لحما ودما وعقلا • وان اختلف الدين • ومن هنا فيهود اوربا وامريكا ليسوا كما تدعي الصهيونية غرباء او اجانب يعيشون في المنفى • انمـــا هم من صميم اصحاب البيت نسلا وسلالة • أما أين يمكن ان يكون اليهود غرباء في منفى ودخلاء بلا جذور • فـــذاك في بيت وارض العرب • في فلسطين حيث لا يمكن لوجودهم الا ان يكون استعمارا واغتصابا بالقهر والارهاب •• وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريـخ والحيـــاة •

اذن فشعار ابادة اسرائيل لا يتأتى من كراهية لليهود وانمـــا من موقف عدواني يتمثل بوجـــود اسرائيل وأعمالها الاجرامية • واى قوة سياسية لا تفهم هذا انما تغالط نفسها •

بقى شيء واحد الا وهو هل تستطيع اسرائيل فرض الحرب على العرب في الوقت الحاضر ؟ والجواب على ذلك نفيا او ايجابيا رهين بقدرتنا على الاستعداد الشـامل والكامل للمعركة وقدرتنا على فهم الستراتيجية والتكتيك !

الفصل السابع

دراسة للموقف العربي والموقف الاسرائيلي

اذا ألقينا نظرة فاحصة على الموقف العربي والموقف الاسرائيلي نجد بالنسبة للموقف العربي الاحتمالات والدلائل التالية :

أولا :

اكد العدوان الاخير ان الوحدة العربية ليست ضرورة قومية وتاريخية ومصيرية فحسب ضد العدو الصهيوني المدعوم من قبل اكبر الدول الاستعمارية في التاريخ المعاصر • فالوحدة العربية تضمن وحدة القيادة وبالتالي وحدة التخطيط والتنفيذ مما يكسب القوى العربية المقاتلة وحدة التنسيق والتحرك المنظم •• الى جانب وحدة التقديرات والاحتمالات السوقية •

◆ نقطة البداية في مواجهة العدو اذن في الموقف العربي الراهن هي الوحدة العربية •

ثانيا :

الا ان هذه الوحدة لن تكون بمعزل عن وحدة القوى الثورية •• بيد ان وحدة القوى الثورية لا تعني تجاوز السلبيات واخفاء التحريف وتخطي المواقع المتخلفة وغض النظر عن كافة المعوقات •

لان وحدة القوى الثورية تعني قبل كل شيء بلورة الحلول الايجابية في مسألة الثورة العربية ـ قوميا ومحليا ـ ودراسة الخصائص والمقومات والدلائل لمعطيات كل قوة ثورية على حدة •

ثالثا : مسألة التعبئة

اصبحت ضرورة تاريخية واجتماعية هامة في الوقت الراهن اذ ان مواجهة العدو لن تكون بمعزل عن التعبئة الشعبية العامة للشعب العربي في كافة اقطاره وتوفير المناخ الفكري الذي يشحذ طاقاته العقلية والذهنية والمادية من اجل الوصول بالانسان العربي فكريا وسياسيا الى واقع التحرر الفعلي •

كذلك فان ضرب العقليات والنفسيات الاقليمية مسألة ملحة الان ، فلا يمكن مواجهة احتمالات المستقبل بعقلية محلية اقليمية لاتستوعب المعركة مع العدو الاسرائيلي • والمعركة مع الاستعمار عامة ولا ترتفع الى مستوى القضية القومية • فكل ما تطمع به هذه العقلية هي المصلحة الاقليمية التي تخفي خلفها مصالح طبقية وبرجوازية أو قبلية او فردية رجعية •

لذلك ليس هناك اخطر على المعركة في حاضرها الراهن وغدها المرتقب ، وليس اكثر تحديا لها وللعبر التي اكدتها في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ من الشعارات التي ترفع بين الحين والاخر لنقول • مسألة فلسطين لا يحلها الا الفلسطينيون وليحل كل قطر مشاكله وبعدئذ تأتي مشكلة التحرير ••! اننا نرى ان الجبهة العربية هي الظهير الخلفي للثورة الفلسطينية •

رابعـــا :

حددت معركة الخامس من حزيران ان صـــداقة الغـــرب مستحيلة • ووضعت حدا للفئـات العربيـة المرتبطة بالغرب سياسياً واقتصاديا وجعلتها امام اختيار صعب •• أما مناهضة الغرب صانـــع اسرائيل وباعث الحياة فيها ـ وهذا يعني اختيار الطريق الثورى ـ واما اختيار صداقة الغرب والارتباط به كليا ـ وهذا يعني اختيـــار الطريق الانتحاري ـ الطريق المسدود •

خامســا :

اكدت المعركة ان المسألة المصيرية لن تكون فوق الخـــلافات والصراعات الدائرة في داخل المجتمعات العربية ، اذ ان مشـــكلة فلسطين في نشوئها وتطورها وما وصلت اليه من مأساة • وليـــدة الخطط المشتركة بين الرجعية العربية والامبريالية البريطانية مـــن قبل والاميركية من بعد •

ولذلك لا يمكن تجزئة المشكلة او وضعها فوق الخـــلافات فالرجعية بالواقع التاريخي والضرورة والحقائق التي اكدتها الوقائع حليفة الغرب الاستعماري •

وهي لـــذلك تشكل أحد ـ التناقضات ـ الداخليـــة في الموقف العربي الذي يجب أن تعـــالجه قوى الثورة العربية معالجة جدية وحاسمة •

••• أما فيما يخص المواقع العربية الستراتيجية فنرى ان الامور التالية تطرح نفسها كحقيقة اساسة •

أ ـ ان دعامة القوة العربية العسكرية هي القوة الذاتيـــة في

الامة العربية ولذلك فتصفية آثار العدوان وتحرير فلسطين في قواه وطريقه لا يتجزأ عن « الطريق العربي الثوري الموحد » • ولذلك لابد ان يكون العمل قوميا ثوريا بمنطق الظروف والاحـــداث • ولا بد من تكثيف الجيوش العربية الى حدود معجزة ومتفوقة •• وبهذا تتحدد مسؤولية الثورة العربية العاجلة والطويلة المدى في آن ودعامة مسؤوليتها التاريخية ايضا ••

ب ـ اســـرائيل لا يمكن ان تتراجـــع عن الاراضى التي سيطرت عليها •

ولقد صرح بذلك موشى ديان اذ قال : اننا لا نســـحب من الاراضى العربية التي احتلتها اسرائيل الا بعد عقد معاهدة صلـــح دائمة مع العرب • وضمان المرور في قناة السويس وخليج العقبة • ومعنى ذلك ان العرب لا يستطيعون انتزاع حقوقهم الا بالقوة •

ج ـ لابد من توفير القوة ـ العازمة ـ على تحـــرير الاجزاء المغتصبة وتحرير فلسطين باصرار عنيد •• وهو اصرار لا بد منه ، لان ارادة ـ الاقتحام ـ في الامم تصنع المعجزات ••• ولكن لا بـد قبل ذلك من ادراك علمي لخطر وجود اسرائيل على الوجود العربي ذاته وعلى الاهداف والغايات العربية في جميـــع اجـــزاء الـوطن العربي ولابد من تصعيد الثورة الفلسطينية •

كذلك لابد من تجسيم هذا الشعور بالخطر بارادة حقيقيةوصادقة تحقق النتائج المترتبة على ـ الحل ـ العلمي لقضية فلسطين وفيتحمل المسؤوليات ازاءها بل تحمل المخاطر •• فالامة التي تعيش عـــلى المخاطر والرد على التحدى والفعالية الفكرية والمادية تفجر امكاناتها

لهيبا وطاقاتها حمما وتدرك ابعاد وجذور القضية المصيرية .

وتوفير القوة الضاربة في المضمار العسكري والشعبي العازمة على التحرير يستلزم :

١ ـ التحرير الكامل للاجزاء العربية التي احتلتها اسرائيل بعد الخامس من حزيران .

٢ ـ توفير طبيعة مرنة من اجل تشكيل ما يسمى بالمصطلحات العسكرية ـ السيولة البشرية والعسكرية اى ان يكون تدفق القوى البشرية على الجبهة اكثر مما يجب كيما تجابه قوات العدو بنسبة ١٠ الى ١ على الاقل .

٣ ـ اتخاذ مواقع استراتيجية صالحة للحركة والدفاع والهجوم من اجل المباشرة لخوض المعركة واحراز النصر .

٤ ـ توقع أسوأ الاحتمالات في الحرب ووضع شتى ضروب الاشتباك المعروفة والمبتدعة في المعركة .

٥ ـ توفير أسلحة وأعتدة تفوق امكانات العدو بنسبة ١٠ الى ١ على الاقل .

ان هذه الامور لا تقرر او توفر الا بعوامل اساسية اربعة هي :ـ

طبيعة المعركة الستراتيجية

وبصفة خاصة معرفة الوضع الستراتيجي الذي يستطيع العرب فيه التحرك بسرعة مذهلة وتوجيه ضربات سريعة ومباغتة وعنيفة الى مواقع العدو والانتقال الى قلب اهدافه بسرعة فائقة .

تشتيت تجمعات العدو العسكرية

عن طريق سلاح طيران متفوق وضرب خطوط تموينه •

طبيعة الاسلحة العربية

التي يجب ان تستعمل ضمن خطط مرنة ومتمكنة ذات خصائص ايجابية • فكثافة الاسلحة الهجومية والدفاعية ربما تتحول الى ـ عائق ـ ضد الحركة السريعة • اذا كانت الخطط بطيئة وذات طبيعة سلبية •• الا انه يجب استغلال الالة الحربية المتوفرة او التي ستتوفر في المستقبل الى أقصى الحدود من أجل احراز نصر حاسم في المعركة •

معرفة طبيعة الخطة المرنة

في خوض المعركة ومن الافضل ان تكون الخطة المرنة ذات اهداف هجومية ودفاعية في وقت واحد لكي نحول دون نكسة جديدة في اسوأ الاحتمالات •

ـ الا ان هذه المواقع وهذه الامور والاسس والخطط لا تكون نافعة اذا لم تكن ضمن دولة واحدة تحكم الطوق حول اسرائيل • أو ضمن خطط قيادة عسكرية موحدة على الاقل !

فاذا لم يستطع العرب ابراز هذه الدولة الى حيز الوجود فليوحدوا الجيوش والقيادات على الاقل او كحد ادنى من الوحدة •• ونرى انهم واصلون الى ذلك • بل الى الوحدة في القريب العاجل اذا وعوا طبيعة المعركة وعيا سليما ذلك لان قيام هذه الدولة ـ الطوق ـ ذات الاثر الحاسم في المعركة يحقق مناخ دولي يقبل ـ الحل العربي ـ ويجعل سلاح البترول واغلاق القناة والمقاطعة

الشاملة للغرب واميركا بالذات ، سلاحا مؤثرا .

كما ان ارادة الدول العربية الواحدة ستجبر أمريكا على القبول بالحل العربي ـ مرغمة ـ بعد أن يتحول الى حل ممكن وواقعي وحتمي .. الا انها ستجعل امريكا تهدد بغزو الارض العربية كلها وعندئذ ستخلق اوضاع دولية ـ تجعل ـ اصدقاء العرب ـ وجها لوجه أمام الغرب وأمريكا بالذات ! وتجعل امكانية المقاومة الشعبية العربية الشيء الاساسي . وفي هذا ستكون احتمالات وجود فيتنام او حرب فيتنامية عربية من الامور الممكنة !

ومن هذه الحالة ستنبثق في المنطقة العربية اوضاع ـ خاصة ـ ستحيل الارض العربية الى منطقة واسعة لحروب التحرير الشعبية .

◆ تلك هي دراسة ونظرة فاحصة للموقف العربي والموقف الاسرائيلي واحتمالات المستقبل . واذا كنا قد اسهبنا بتشخيص واحتمالات الموقف الاسرائيلي فلنا لقاء لدراسة الموقف العربي من كافة جوانبه .

الا ان الذي نؤكده في خاتمة بحثنا هذا هو ان الصيغة العلمية والعملية في تحديد ـ مواقع ـ الانتصار ـ على العدو . توجب علينا فهم الصلة الجدلية بين النصر في معركة التحرير والنصر في معركة الثورة الاجتماعية والاشتراكية وفهم الصلة الجدلية بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية .

ومن هنا ندرك أن الصلة الجدلية تعني أنه لابد من تحقيق حد ادنى من الانتصار على الرجعية ولا بد من تحقيق حد ادنى للمد الشعبي الثوري الوطني والقومي وتعبئة الجماهير في معركة الهدف

العربي الشامل لامكان مباشرة معركة التحرير واحراز النصر فيها •

الا ان هذا لا يعني باي حال • تعليق معركة التحرير على انتصار أهداف الثورة العربية الوحدوية والاشتراكية في الوطن العربي باجمعه تحريرا وتوحيدا واقامة المجتمع الاشتراكي الموحد •• ولكنه يعني حتما الارتباط العضوي بين المسألة التحررية المصيرية والمسألة الاجتماعية •• وبين انتصار المد الثوري الوطني والقومي العربي وبناء الاشتراكية والوحدة • وذلك يعني ايضا تأكيد الاهمية التاريخية والحياتية في النضال الاجتماعي والاشتراكي وصراع البقاء•

ومع ذلك •• مع اهمية كل هذه الامور يبقى لدينا اثر عنصر الزمن على امكانية تحقيق الحل العربي لمسألة التحرير ، وعنصر الزمن يتطلب منا ادراكا علميا وعمليا لكافة مستلزمات المسألة عربيا وعالميا ومحليا •• ولذلك فقد تقتضي الضرورة ـ تجميد ـ بعض الامور ـ وابراز وتجسيد الامور الاخرى •• لكن عنصر الزمن يؤكد بوضوع تركيز الجهد الثوري من اجل معركة التحرير •• لان الامم في لحظات الصراع تستطيع مواجهة اقسى الظروف واصعبها •

الباب الثالث

حرب التحرير

الفصل الثامن

استراتيجية الرعب والحرب النفسية والدعائية

معلمو فلسفة الرعب

هل في الامر شيء جديد ؟ عندما استعمل الامريكان والانكليز والصهاينة استراتيجية الضربة الخاطفة ؟ وهل في الامر غرابة عندما نجد ابناء فلاسفة (الرعب) يطبقون فلسفة اساتذتهم في الجريمة والقتل ؟ الاساتذة القدامى كانوا بمثابة الرواد • الهون والوندال والبرابرة والتتار •• ومن قبلهم الرومان ومن بعدهم الالمان والامريكان • خلقوا حضارتهم العدوانية بالارهاب والقسوة والجبروت •• وطبقوا فلسفة السيد والعبد • ولذلك ليس من الغريب ان يصبح اليهود الاذلاء بالامس اشد قسوة ودموية من اسيادهم بل لا بد ان نقول ان اليهود الصهاينة هم معلمو فلسفة الرعب ومنطق العبودية منذ القدم• فلقد جاء في كتبهم :

١ ـ ان الارض ومن عليها وما فيها ، تعتبر ملكا • أو ميراثا لبني اسرائيل تلزمهم مشيئة الحياة ان يستولوا عليها •

٢ ـ ان كل شريعة غير شريعة بني اسرائيل هي شريعة فاسدة وان كل سلطة غير سلطتهم هي سلطة مغتصبة •

٣ ـ ان الهم ـ الخاص ـ حرم عليهم الشفقة والرحمة تجاه غيرهم • وهذه الروح نلمسها عند مفكريهم وساستهم عامة • فالفكر اليهودي القديم والمعاصر هو معاول تهديم محموم ـ كما يقول موريه مؤلف كتاب ـ اليد الخفية ـ •

والمعروف ان اسرائيل تقف وراء الاعمال العنصرية البربرية ألتي قام بها ـ سمث ـ روديسيا ـ وسالازار في موزمبيق ـ وفيرورد في جنوب افريقيا • وهكذا نرى ان المخطط الذي يجمع بين الصهاينة والامبرياليين الامريكان له أبعاده التاريخية فجذر المسألة الحقيقي : ـ العنصرية ـ واسرائيل قامت بعنصرية عنيفة لقومية وهمية • أما أمريكا فتعتبر العنصرية فلسفتها التى تعتمدها في جميع أنحاء العالم • والاسرائيليون الصهاينة يشعرون بتفوق ضد العالم • والامريكان يشعرون بنفس الشعور • والكل يعبرون عن العوامل التاريخية الصانعة لذلك الشعور •

أمريكا فوق الجميع

الرجل الابيض ، ضد الرجل الملون ـ الاسمر • الاصفر • الاسود • تلك هي مقولة الاحتكارات الامريكية والرأسمالية الصهيونية • التي تختفي خلفها حقيقتها البشعة وامتصاصها دماء الشعوب ونهبها ثرواتها وخيراتها وبترولها •• الصغار في خدمة الكبار • الاول يزرعون الاشجار •

والكبار يتمتعون بالثمار

تلك هي عقلية الامبرياليين والصهاينة • انهما عقلية واحدة وفلسفة واحدة • كذلك الاساليب متشابهة • سواء كان مستخدموها

أسيادا أو خدما ... صيحات جونسون المجنونة التي يكاد طنينها يصم الآذان وكأنها تعيد المآسي التي ارتكبها أعتى الطغاة أمثال نيرون وأتيلا وملوك القرون الوسطى في اوربا • تلك الصيحات التي قتلت عدة ملايين في الفلبين وكوريا والفيتنام والكونغو وامريكا اللاتينية • تصرخ بها اسرائيل التي خضبت الارض بدماء مئات الالاف من العرب • وتنبعث في الصرخة المجنونة • أطماع الاباطرة المجانين الذين أرادوا استعباد العالم باسره • الا أن أخطر ما في تلك الصرخة هستيريا حمقى العصر آلراهن وتجار الحرب الجدد • مكنمارا • راسك • تايلور • جونسون • هؤلاء الذين يلعبون بمصائر الشعوب • ويتروضون بتعذيبها ، ويتلذذون بالامها • ويسرقون ثرواتها • وفوق ذلك يحقدون عليها • لانهم يريدون ابادتها •

الدم الارى والدم الحاقد

والذريعة التي يتذرع بها الامريكان هي نقاوة الدم الاري ولا بد من تطهير الارض من غير البيض • أمريكا فوق الجميع • واسرائيل فوق الجميع ولكن مع ذلك فاسرائيل سامية وليست آرية !• تلك مقولة امريكية انكليزية ايضا • لان امريكا صديقة الشعوب الفقيرة فهي تبعث الجيوش من أجل السلام ، فليكن العالم واحدا • العالم الحر• أمريكا • أوربا• حلف الاطلسي• البيض ضد السود • اليهود ضد العرب • ولكن لتظل أمريكا فوق الجميع !•

الصهاينة الحصان المسعور

والصهاينة في اسرائيل يعبرون عن واقع الغرب بكل ما فيه من متناقضات بكل مافيه من أطماع وشهوات استعمارية •• نفس الاهداف

العدوانية ، للدوائر المالية في واشنطن ، تحركها أكثر دوائر الاجرام ايغالا في الجريمة وأكثرها وحشية وتعطشا للدماء .. احتكارات روكفلر ومورجان وفورد واحتكارات البترول تحرك الاشداق الشرهة .

وعلى ذلك فالصهاينة ينفذون مخططات أسياد المال .. وعندما اختارت اسرائيل فكرة الحرب الخاطفة فلانها وأسيادها كانوا يدركون أنهم لا يستطيعون الصمود في معارك النفس الطويل ، لاسباب خارجة عن ارادتهم . ألا وهي حقائق التاريخ وطبيعة الشعب العربي . ومن هنا يصبح لزاما على اسرائيل اعتماد الضربة الخاطفة التي تستطيع فيها مباغتة العرب وشل مبادراتهم العسكرية والشعبية .

مسألة الدعاية اشد من المدفع

والامريكان واسرائيل يعرفون ان الحرب الخاطفة ستجعل من الدعاية أشد تأثيرا من المدفعية . بل انها في الواقع أشد ـ هولا ـ منها ـ ولذلك حسبوا للدعاية الف حساب فجعلوا شعارهم : كسب الحرب بالدعاية قبل بدأ الحرب ـ وهذا سلاح ورثته اسرائيل من أسيادها الامريكان المعاصرين . وأحبار اليهود القدامى الذين كانوا يعتمدون على دعاية الرعب الى جانب دعاية التهدئة : أى أثر بواعث الخوف في نفس عدوك حتى يشعر بالانسحاق ، وابعث دوافع الهدوء فيه حتى يشعر بالامن والطمأنينة وعندما تضرب باغت عدوك ، وتشل حركته وعندئذ أما أن يستسلم لك اعجابا أو خوفا ، وأما أن يغلب على أمره فيتيه في لجة (الضجة المجنونة) التى تطير صوابه .

◆ وقد طور الامريكان واسرائيل هذا السلاح الى مداه

البعيد ، مطبقين مبادىء علم النفس الحيوانى واسس صراع البقاء في الغابة • ولقد ذكر البروفسور ستانلى منظر الحرب الدعائية في المخابرات الامريكية • انه استفاد الى حد كبير من نظريات شارلس دارون في ترويض الشعوب • وانه يستلهم كتاب أو مجلد : أصل الانواع ـ الا انه يكره الداروينية الاجتماعية لانه يرى أن صراع البقاء ليس من حق المجاميع الصالحة والمتكيفة مع العصر ، وانما حق البقاء للمجاميع القوية والقادرة على استعباد الكثرة أو الجمهرة الواسعة ـ وهكذا طبقت أمريكا هذه الفلسفة في الدعاية التى وجهتها الى العرب • ومن هنا أصبح تضليل الجماهير وتضليل النظم التقدمية مهمتها الكبرى لخديعتها وسحقها وضرب معنوياتها في الصميم •

وهذا ما تتبعه الامبريالية والصهيونية الشرط الاول للنصر

◆ وبعد أن استطاعت اسرائيل ومن ورائها أمريكا تحقيق نصرها الموقت ، وجهت سلاح دعايتها الى الجبهة الداخلية في الشعب العربي ، فراحت تصور انتصارها المذكور بانه يتجه للقدرة التكنيكية التى لا تقاوم لدى الغرب والبناء الحضاري الاقتصادى للحضارة الامريكية • ومضت الى أبعد من ذلك فوجهت سلاح دعايتها الى القيادة العربية الثورية في القاهرة ، مثيرة حولها الشكوك ومؤيدة عدم قدرتها على قيادة الشعب العربي • في الوقت الذي استفادت من الموقف المرن الذى تقفه القاهرة لكيما تستكمل شروط الاستعداد للمعركة • فحاولت تصوير موقف الرئيس عبدالناصر بالمتخاذل والمهزوم • وأكثر من ذلك • حاولت أجهزة دعايتها رسم صورة بائسة للشعب العربى في ج•ع•م• ولسان حالها الذي تردده

الاشاعات يقول : ان الشعب العربي المصرى شعب غير مقاتل ولذلك يجب أن لا يعتمد عليه في الجولة القادمة • أما الاشاعات التى اطلقت في الجبهة الداخلية المصرية فتدعو الشعب هناك الى (الانكفاء) على ذاته والابتعاد عن ـ مشاكل ـ القومية العربية ـ لانها هي التي جلبت له الدمار والخراب ، ونتيجة لذلك استعدت الرجعية والاقليمية للانقضاض على الثورة العربية في ج•ع•م• الا ان انتفاضة الشعب العربى من محيطه الى خليجه يوم ٩ ـ ١٠ حزيران أذهلت المستعمرين وانتزعت زمام المبادرة من أيديهم ، وردت سلاحهم الى نحورهم •

الافعى الناعمة والثعبان العنيف

والواقع أن فلسفات الامبرياليين والصهاينة النفسية والدعائية بعد النجاح الموقت الذي حققوه في الحرب • تستهدف ايجاد ـ فجوة ـ عميقة في نفسية الشعب العربي وبالاخص بعد أن أثارت النكسة العديد من البواعث والدوافع وظهرت الكثير من المنعطفات والتفسيرات والتأويلات • وقد تمثلت تلك الظاهرة بطوفان الاشاعات المثبطة والدعايات المشككة والانهزامية • ومن بداهة القول ان هذه الظاهرة تكمل التكتيك العسكرى للعدو الصهيونى • بل هى جزء سابق للتخطيط العسكرى الاسرائيلى والوجه السايكولوجى للحرب والتتمة الضرورية للعدوان • وبدون ذلك لا يستطيع العدو الاعتماد على امكانياته العسكرية فقط •

◆ والمعروف منذ العصر الاستعماري حتى الان ان الدعايات النفسية الامبريالية تكون ذات سمات دقيقة وخصائص تستهدف

تثبيط الهمم • واصابة الشعوب بما يسمى ـ الافتتان ـ بالخصم ، الى جانب تجسيد سلوكية الافعى الناعمة التى تنساب بين الادغال دونما صوت أو حركة مثيرة • الافعى المسالمة ذات الثوب الجميل والشكل الزاهى • وهذا الامر يكون قبل بدء ألحرب • أما عند نشوب الحرب والاستعماريون يختارون الحرب الخاطفة ـ فتكون سلوكية الثعبان العنيف القوى الذى يباغت فريسته التى تنكمش على ذاتها وتغلب على أمرها فتستسلم له اعجابا أو خوفا •

أقصى درجات العنف واقصى درجات الحيلة

◆ ولهذا نجد الاستعماريين الامريكان والانكليز والصهاينة يعتمدون أقصى درجات العنف مع أقصى درجات الحيلة والغدر كما يعتمدون الحرب الخاطفة دائما وباستمرار • فيحشدون أكبر قواهم التكنيكية ويناورون مناورات سياسية مضللة •• وبعدها يضربون •• ثم ينتهى كل شىء • ويحتلون الارض والشعب الذى يبغون • ويسود ظلمهم وأمنهم قبل أن تستيقظ القوى المقاومة فى الشعب المحتلة أرضه • ذلك هو اسلوب اللصوص والقراصنة منذ أقدم العصور •• والحرب الخاطفة تعتمد على التفوق التكنيكي وأحط أساليب التضليل السياسى والميكافيلية الدعائية وأكبر قدر من اللا أخلاقية الى الحد الذي يصبح فيه الكذب تجارة مربحة وصفقة ناجحة من قبل أي مسؤول استعماري •

وقد سبق لنا شرح دور التضليل السياسى في العدوان الاخير الذي مارسته أمريكا وعلى لسان رئيس الدولة جونسون نفسه ـ سبق لنا شرح ذلك بعد العدوان باسبوعين ـ

الا ان الذي نؤكده هنا ان قاعدة التضليل سمة من سمات الاحتكارات والحضارة الغربية العدوانية في الحرب والسلم وفي الدعاية والاعلان ، بيد أن هذا التضليل دائما ما يختلط بنصف الحقيقة الامر الذي يجعل الشعوب تتيه في التفريق بين الحق والباطل والصدق والزيف •

الحرب الفكرية لماذا ؟

والعنصر الفكري في الضربة الخاطفة هو اخطر ما في النتائج فالحرب الخاطفة لا تحقق نتائج دائمة •• لان الشعوب تقابل تلك الحرب بمعارك النفس الطويل فتستجمع قواها وامكانياتها وتضرب احتكارات العدو وتصادر مصالحه وتجابهه بحرب شعبية ومقاومة متواصلة وربما اقتضى الامر خوض حرب عصابات أو حرب تحرير شعبية كما هو الان في الفيتنام وفي الجزائر من قبل •• والامبرياليون واعوانهم لا يستطيعون احتمال المعارك طويلة النفس التي تنضب فيها امكانياتهم وتعجز آلتهم الحربية وتكنيكهم الضخم من الصمود أمام الحرب اللامحدودة والعدو الخفي اللامنظور الذي (يضرب ويهرب) ويكون ظهيره شعبه وخططه مرنة ومتحركة في آن واحد •

المثبطات والمحرضات

ولهذا يعول الامبرياليون واسرائيل على نتائج ـ الحرب ـ الفكرية ـ التي يخوضونها مع العرب الاحرار الان • والحرب الفكرية تنطلق من نفس الاسس التي تنطلق منها الحرب الفكرية الخاطفة ••• وهي لذلك تجسد نفسية الافعى المنسابة بدون صوت والثعبان المهاجم باقصى درجات العنف الذي يجعل فريسته

تشل حركتها من شدة الرعب ـ اذا لم يبتلعها ـ وهذه الاساليب تعتمد على قانون الخوف في علم النفس الحيواني كما ذكرنا . لكن الامريكان والصهاينة نسوا شيئا واحدا الا وهو ان الخوف الشديد المتواصل يخلق نتائج عكسية محرضة .

فقانون التحدي اذا ما اشتد يخلق منبهات محرضة ويؤدي الى العكس ... وهكذا نرى ان الشعب العربي بوعيه وادراكه وبصيرته النافذة سيحيل نتائج الحرب الفكرية الى نتائج عكسية ضد العدو ولن يقع في ـ حالة ـ الكف ـ عن الحركة ـ وانما سيقلب الحرب الموجهة ضده الى نحر عدوه . وهذا ما سيجعل امكانيات التحدي والرعب الامبريالي الصهيوني عوامل استثارة وجوابا مدمرا يمارس فيه العربي حقيقته الاصيلة والشجاعة ليدحر العدوان ويستعيد ارضه السليبة .

الفصل التاسع

الحرب التحررية ضد الحرب الاستعمارية

الجذور التاريخية

ترعرعت الامبريالية وتكونت في ظروف تاريخية بلغت فيها الرأسمالية اوج مجدها ووصلت الى نقطتها القصوى في تكوين احتكارات مالية ونفطية وتعدينية تسيطر على العالم المتخلف والدول النامية • وقد كان الاستعمار القديم يسمى : الرأسمالية المتحضرة ، ولقد دفعت الرأسمالية المحتضرة تناقضاتها الى اقصى الحدود فكانت الحرب العالمية الثانية التي صفيت فيها احدى الامبرياليات نهائيا على أيدي أمبرياليات اخرى متحدة • وبذلك فسح المجال أمام أمريكا الشمالية للبروز والقفز على زعامة العالم الامبريالى • فالولايات المتحدة الامريكية الدولة الفتية التي لم تشترك في حروب شاملة والدول التي ـ تمركزت ـ فيها التروستات ـ الاحتكارات ـ ووصلت بواسطة التطور الاجتماعي والتكنيكي الى حدود واسعة الافاق • استطاعت ابتلاع الامبرياليات لاخرى التي صبحت ذيولا لها •

الاحزمة الستراتيجية

هنا راحت الولايات المتحدة تطوق العالم باحزمة ستراتيجية تمتد من شرقي اسيا حتي الشرق الاوسط ومن شرقي جبال الالب

حتى تركيا ، وقد سبق لنا وتحدثنا عن الاحزمة الستراتيجية الاميركية في العالم ضمن حديثنا عن (حزام الشرق الاوسط) وقد كشف عصرنا عن تناقضات اساسية في قلب الامبريالية الاميركية من جهة وفي العالم الذي تحاول السيطرة عليه من جهة اخرى .

ومن المحتم ان هذه التناقضات تؤدي الى عدة نتائج من بينها نضالات الشعوب المعادية للاستعمار والمطالبة بحقوقها الوطنية والقومية . وهذه التناقضات والنضالا تالناتجة عن طبيعة العصر الراهن متداخلة بعضها بالبعض ويؤثر بعضها في البعض الاخر ، ولا يمكن للمرء ان يمحو اى تناقض من هذه التناقضات الاساسية او ان يضع تناقضا محله بمحض ارادته او كما يشاء . ولا بد لنا قبل كل شيء من استعراض وتحليل علمي الى المسألة التي نطرحها هنا الا وهي مسألة حروب التحرير التي هي الرد الطبيعي ضد الحروب الاستعمارية .. وكابتداء نقول ان الحروب الاستعمارية الموجهة ضد الشعوب هي الناتج الطبيعي لتلك التناقضات .

التناقض الاول

التناقض الاول هو التناقض القائم بين العمل والرأسمالية الضخمة والبنوك المالية الكبيرة تسلطا مطلقا في الاقطار الصناعية ، وطبعا تقف الولايات المتحدة في المقدمة . وقد تبين من خلال استقراء الاوضاع الدولية ان مجتمعات الدول الاستعمارية تتشكل من طبقات متوسطة تعيش على نتائج النهب الامبريالي لثروات الامم المضطهدة ولذلك فشعوب الغرب وأمريكا الشمالية مسؤولة مسؤولية تاريخية عن طبيعة النظام الذي تؤيده باستثناء قلة من العمال وجماهير

المعدمين الذين ينحدرون أدنى فأدنى الى مستوى مدقع من العيش ـ .

التناقض الثاني

التناقض القائم بين الدول الاستعمارية نفسها فالكتل المالية في صراعها من أجل السيطرة على منابع الثروات والمواد الاولية لدى الشعوب المتخلفة وأراضى الغير وتصدير رؤوس الاموال الضخمة والبضائع الاستهلاكية والمعدات هو صراع جنوني . فجر حربين عالميتين . وقد انتهى هذا الصراع ـ موقتا ـ بانتصار الاحتكارات الاميركية الشمالية التي استطاعت ابتلاع الاحتكارات الاوربية الاخرى . الا أن ذلك لا يعنى ان الصراع بين الدول الاستعمارية من أجل ـ تقسيم العالم ـ اختفى بصورة نهائية . وان الكتل المالية الغربية والامريكية المتنافسة ـ بعنف شديد ، قد وجدت في شراكتها الموقتة نهاية المطاف . فكل دولة استعمارية تفتش عن مكان لها تحت الشمس ضد الدول والكتل الاستعمارية الاخرى ، وهي بذلك انما تجسد صراعا عنيفا . الا انه مستتر وهذه ـ خاصة جديرة بالملاحظة ـ في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية ، فلماذا وجدت هذه الخاصة التي تحولت الى ظاهرة ؟.

ذلك لان العالم طرأ عليه تغير جذري منذ الحرب العالمية الثانية وعلى ميزان القوى العالمية بالذات . والدلالة الرئيسية على هذا التغيير هي ان العالم تحول أغلبه الى الاشتراكية والى الحياد وأصبح للعالم الثالث وزن كبير .

التناقض الثالث

هو التناقض الموجود بين ـ مجموعة ـ من الامم المتقدمة صناعيا

والمتمدنة اقتصاديا وبين مئات الملايين من الامم والشعوب المضطهدة ، ـ فالاستعمار هو ابشع انواع الاستثمار ـ وأشد اشكال الاضطهاد غير الانساني الوحشي ضد مئات الملايين من سكان الاقطار الشاسعة الواسعة في المستعمرات والبلدان النامية • وهدف هذا الاستعمار وهذا الاستثمار والاضطهاد ، انما هو نهب المواد الاولية والارباح الفاحشة ولقد مر الاستعمار بمرحلة : الكولونيالية ـ الاستعمار المباشر ـ في تلك المرحلة كانت جيوشه تحتل البلاد المتخلفة وكانت اموالـه تستثمر الطاقات الى اقصى الحدود • وفي تلك المرحلة ايضا نشأت ـ تناقضات عديدة ـ ضد الاستعمار في داخل البلاد التي يحتلها ، فالتصنيع وخطوط السكك الحديدية والمصانع ومعامل التكرير والمراكز التموينية التي تزود الجيوش بالمأكل والملبس ابرزت في البلاد المتخلفة مجموعات مثقفة نشيطة معادية له وبورجوازية محلية ذات تطلعات وطنية •• ومن خلال المماحكة والصراعات اشتدت النتائج المحتومة للسياسة الاستعمارية العدوانية والتحدي المسلط على الامم والشعوب المستضعفة • وما تعاظم قوة الحركة الثورية في جميع الامم المستعمرة او المجزأة دون استثناء الا لدليل واضح على ذلك • وقد زعزعت مواقع الاستعمار القديم والرأسمالية ودكت من جذورها في اغلب العالم القديم المستعمر •

هنا برز دور الاستعمار الجديد بزعامة الولايات المتحدة الاميركية جامعا بين شكل الاستعمار القديم وبين الشكل الجديد الذي فرضته الظروف التاريخية • وقد مارست أميركا الشكل الثاني في البلدان الاخرى •

والمعاني التي تطرحها جملة هذه التناقضات : انهـــا القت في ـ عقدة واحدة ـ او كفة الميزان التحدي ضد الشعوب وبذلك عجلت المعارك الثورية وسهلتها •

وحدة الشعوب المستضعفة

ولقد وحدت المعارك الثورية والنضال المشترك ضد الاستعمار بشكليه القديم والجديد بين الشعوب والامم المستضعفة وكشـــفت الكثير من مواقع ومواقف البروجوازية المحلية المتعاونة مع المستعمر المستغل وخيانتها حتى لمصالحها الطبقية بالذات ونتيجـــة لذلـــك برزت طلائع جديدة تقود نضال الشعوب تتكون من المثقفين والعمال والفلاحين وسائر المجاميع المعادية للاستعمار والاستغلال والتي هي بحكم موقعها الاجتماعي تشكل عامل دفع تاريخي لثورات امتهـــا وشعبها • ولهذا السبب بالذات يحاول المستعمرون والرجعيون دائما وبكل وسيلة التأثير في وحدة هذه القوى الثورية وتجزئتها والتسلل الى مواقعها وتفجير العوامل الفردية فيها واشاعة روح التفرقة والبلبلة واضطراب المقاييس وبث روح الغرور والتطلعات الشخصانية والتبجح والمباهاة ، وروح المغامرة والانقسام والتكوينات السياسية التنظيميـــة المتعددة •

المسألة القومية والمسألة الانسانية

وقد يقال لنا ، كل هذا حسن جدا • ولكن ما شأن العـــرب هنـــا •

ونقول : ان العرب بالذات كأمة مجزأة ومضطهدة ، ومستغلة ثرواتها ، هي جزء من هذه الشعوب الثائرة ، وموقعها في العـــالم

المعاصر تحدده حقيقتها كأمة مستضعفة لذلك فهي ترتبط عضويا وتاريخيا برباط الثورة المضادة للاستعمار • اضافة الى كون الامة العربية موطن الثورية المعادية للاستعمار • ذلك لان العرب أكثر من سواهم نقطة التقاء لجميع تناقضات الاستعمار هذه وأرضهم حبلى بالثورة • ولهذا السبب فالامة العربية هي القادرة على حل هذه التناقضات بالطريق الثوري •

فاولا : الامة العربية موطن الاضطهاد الاستعماري الرأسمالي بكل أنواعه العسكري والاقتصادي والسياسى والطبقي وقد تعرضت لاشد أشكاله وحشية وبربرية فمن الذي يجهل ذلك ؟••

وثانيا : ان الامة العربية بالنسبة للاستعمار تشكل احتياطيا كبيرا ليس فقط لكونها ذات ثروات هائلة بل ايضا لموقعها الستراتيجي الحساس ولذلك فهو يبغي ابقاء سيطرته عليها بشتى الوسائل • ثم ان الامة العربية تحتوى ارضها على ثلثي بترول العالم وفيها ثروات كبيرة ولقد كانت الاسر الاقطاعية والبورجوازية العربية عميلة الاستعمار تضع فيخزائن الغرب مئاتالملايين من الدولاراتعلى حساب استنزاف جهد الملايين من الفلاحين والعمال • فمن ذا الذي ينكر ذلك ؟••

قضايا الحرب والستراتيجية

وفي مسألة الحرب الاخيرة بيننا وبين أمريكا والغرب متسترا وراء اسرائيل نرى الى خصائص الامة العربية ووضعها ترشحها لخوض حرب طويلة المدى مع الاستعمار الاميركي الذي هو القوة الرئيسية للعدوان والحرب • وهذه الحرب تتبلور قبل كل شيء في

التعبئة العامة للجماهير العمالية والفلاحية وتطوير امكانياتها وجعلها احتياطيا مباشرا وظهيرا خلفيا لجيوش ـ الجبهة ـ . فالخطة الاميركية ـ الاسرائيلية التي شنت بموجبها اسرائيل عدوانها في ٥ حزيران كانت تهيأ البورجوازية والاقطاع لاستلام دفة الحكم في الدول العربية التقدمية ولما فشلت هذه الخطة اصبحت المهمة الجوهرية لاميركا هي : الهدم من الداخل ـ بواسطة ضغوط طويلة ـ وربما اثارت حروبا اهلية في المستقبل او تسعيرا لخلافات بين الرجعية العربية والتقدمية العربية وتطويرها الى نزاعات مسلحة في مواقع التوتر على حدود اليمن وحدود تبوك ومعان وحدود الجزائر والمغرب .

وهذا كله يجعل الشكل الرئيس للنضال في الوطن العربي مبنيا على استراتيجية طويلة المدى ترتكز على اعداد الطبقات الشعبية اعدادا عسكريا وتعبويا وجعل الانتاج والفكر والتربية لصالح الحرب من اجل شن حروب ثورية ضد الحروب الاستعمارية .

الا ان ذلك لا يعني تجاهل الاساليب التي اكتشفها العدو فالمسألة الان مسألة رد رمح العدو الى نحره ويجب على المرء ان يحدد بالضبط وبدون تحفظ اعمال التخطيط والتنظيم لغرض الوصول الى محو اثار العدوان عن طريق التنسيق الماهر والتحرك السريع لخوض العمليات التحريرية دونما تلكؤ او ابطاء .. ولذلك فنحن نستطيع الاستفادة من اساليب العدو . نفسه الى اقصى الحدود الا اننا قبل كل شيء يجب ان ندرك ان كل شيء يجب ان يصبح في خدمة الحرب ، فالجبهة اولا ثم تحضير الجماهير وبعدئذ التعبئة

وجميع الاعمال والتنظيمات الاقتصادية والسياسية تقوم مباشرة او غير مباشرة بدور المساعد للحرب فمؤخرة الجيوش الثورية هي الشعوب فاذا كان ـ الرافد البشري ـ لاينقطع، واذا كانت المعنويات عالية. واذا قامت تنظيمات ثورية تكرس جميع المجهودات للحرب واذا مضت القوى الثورية في تصعيد قواها في الوطن العربي فان الحرب تكسب لا محالة فالحرب الثورية المعادية للحروب الاستعمارية موجهة ضد الثورة العالمية الرجعية المضادة للثورة القومية والاشتراكية التي تقودها الولايات المتحدة الحصن الرئيسى للرجعية في العالم .

الموقع الصلب وطريقة النضال

والطريق الواقعي الصحيح في الحروب الثورية هو ان يكون مصير الشعوب رهنا على وحدة ارادتها ونضالاتها . وعلى النقيض من ذلك فان عدم التمييز بين الاعداء والاصدقاء ـ محليا وقوميا ـ من جانب القوى التي تقود النضال ضد العدو الاميركي الاسرائيلي معناه السير في طريق مسدود ، وهذا ما دحضته وقائع السنوات القلائل الماضية التي انتصرت فيها بعض الشعوب وانتكست شعوب اخرى ... ان المنطقة العربية تعج فيها مختلف التناقضات الموجودة في العالم المعاصر وموقعها عاصفة ثورية تسدد منها الارادة العربية ضربات مباشرة وقاتلة الى الاستعمار .

المهام الواجب انجازها ..

والثورة العربية تعكس التركيب الاكثر او الاقل اتساعا للقوى الثورية ذاتها وتمثل تحالف العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وتعكس احيانا واقع العدو الداخلي : الرجعية ـ بفصائلها المتعددة ـ

واحيانا الخارجي ـ الاستعمار واسرائيل ـ

والحرب ضد عدو داخلي تكون حربا ذات اشكال عديدة اما الحرب ضد العدو الخارجي فتكون ذات اشكال متقاربةالشبه ولكن جميع هذه الحروب ذات المحتويات المتعددة والمراحل التاريخية المتفاوتة تمثل في كل مرة نضال الثورة العربية ضد الثورة المضادة وجميع حروب الثورة العربية منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى الان ، جميعها حروب ثورية ـ وتلك هي خاصة العرب كامة تدافع عن وجودها وحقها واحدى ميزات النضال العربي ... وهذا الوضع ينطبق على المهمة الملقاة على العرب في اللحظة الراهنة . فالمهمة الرئيسية التي وجدنا انفسنا ملزمين بها تقوم على النضال المسلح ضد العدو الرجعي والعميل في الداخل . وذلك من أجل التحرر الوطني والقومي والاجتماعي فلا يمكننا تبوأ المركز اللائق بامتنا اذا لم يكن في وسعنا انجاز هذه المهام الثورية الاصيلة ... ولقد وعينا ذلك وعيا عمليا كاملا .

الفصل العاشر

خصائص الحرب التحريرية العربية

دحض رأي خاطىء

قديما كان ينظر الى مسألة الامم المضطهدة على انها مسألة حقوق محضة ، فالدول الاستعمارية كانت تعلن عن (المساواة القانونية) بصورة أو بطريقة طنانة رنانة ، وتنشر التصريحات بلا حساب عن تساوي الامم ، بينما الواقع يشهد تسلط فريق من الامم ـ الغالبة ـ هي الاقلية ـ على حساب الفريق الاخر من الامم التي يستثمرها الاستعمار ، وهذا معناه الهزء بالشعوب المضطهدة وتضليلها الى اقصى الحدود ، أما الان فقد فضحت هذه النظرة الحقوقية البورجوازية واخذت ثورات الامم المضطهدة تفرض نفسها على العالم وترتبط بالمسألة العامة مسألة التحرر من الرأسمال الاحتكاري والقضاء على الاستعمار العالمي ، وهكذا وضح ان الامم المضطهدة تضع نفسها في موقف ـ النقيض ـ مع الاستعمار وبشكل حاسم وقاطع ، ومن المحتم ان يؤدي هذا الموقف التاريخي الى تفجير صراعات وحروب مسلحة عادلة وغير عادلة ، وينبغي لنا ونحن في معرض استعراض الحروب العادلة والحروب الاستعمارية ان لا نخلط بين الحرب كطريقة لاقامة سلم يفرضه الاستعمار بالقوة ،

كالسلم الذي فرضه الرومان ، والسلم الذي يريد فرضه الامريكان على العالم ، فالسلام القائم على غير العدل ، يفرض بقوة الحرب الاستعمارية أما السلام القائم على العدل فهو الذي يدعم بقوة الحرب التحريرية .. وكنموذج على الحرب التي تدعم بقوة الشعب تأخذ :

الطراز الاول

في الجزائر كانت الانتفاضات في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين غير مسلحة وسلمية ، الا انها كانت تشهد لونا مسلحا من ألوان الكفاح مثلا في انتفاضة عام ١٩٤٩ التي قتل فيها اكثر من ٤٥ الف مواطن عربي جزائري على ايدي قوات حكومة ـ الجبهة الشعبية ـ في تلك الانتفاضة مارس الشعب الجزائري ما يشبه حرب العصابات فتكونت زمر مسلحة استطاعت ان تصمد عدة ايام أمام القوات الفرنسية لكنها هزمت وصفيت جميع الجيوب المسلحة فيالنهاية . وبالطبع كانت تلك الانتفاضات تعبيرا واقعيا عن الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في الامة العربية ، وتعبيرا عن المدى الذي وصلت اليه حركة التحرر الوطني والقومي فكريا وسياسيا وتنظيميا.. ومما يلقي أضواءكاشفة على تلكالمرحلةانها كانت مرحلة نضال يتصف بالعفوية وقليل من التنظيم ، لم تتبلور فيها المسائل الطبقية والاجتماعية والقومية تبلورا واضحا ، وهي ـ أي الانتفاضات ـ انجاز تاريخي صحيح يعكس طبيعة الظروف السائدة وقتذاك ..

الطراز الثاني

أما الطراز الثاني فهو طراز الكفاح المسلح بواسطة تحشيد

القوى الوطنية الفلاحية ، وقد كان الريف في الوطن العربي في أواسط هذا القرن يتمتع بأهمية كبيرة لما فيه من وعي طبقي يتشبث فيه الفلاح بأرضه ، والاستمساك بالارض والعزة الوطنية والقومية من دواعي النضال والكفاح .

ثورات العالم الثالث والثورات التحريرية

ولذلك فثورات الامم المضطهدة ـ والامة العربية بضمنها ـ ليست ممكنة كلها بدون حروب تحررية ، ويتضح من خلال استقراء تاريخ الثورات المعاصرة انها قامت بحروب تحريرية مضادة للحروب الاستعمارية ، العرب مثلا خاضوا حربا تحررية في الجزائر لمدة سبع سنوات وفي عدن وفي اليمن وفي قناة السويس ، وفرضت عليهم عدة حروب منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى الان ، وقد تفاوتت مواقع حروبهم التحررية زمانا ومكانا وظروفا وطبيعة الا ان هناك سلسلة تشدها جميعها الى شيء اسمه الحرب التحررية ضد الحرب الاستعمارية .

◆ وتواجه الامم والشعوب المضطهدة في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية المهمة التاريخية الملحة .. مهمة تصفية الاستعمار وقواعده والنظم الاجتماعية التي أقامها ، وقد ألقى التاريخ على عواتق هذه الامم والشعوب رسالة سامية ترفع فيها راية المعارضة للحكم الاستعماري والطبقات البورجوازية المحلية المتعاونة واياه ، ان اقساما واسعة جدا من سكان القارات الثلاث ترفض ان تصير عبيدا للاستعمار ولا تشتمل هذه الاقسام فقط على العمال والفلاحين والمثقفين وحسب بل تشتمل ايضا على اقسام كبيرة من الطبقات المتوسطة ..

وفيما يختص بالعرب نجد ان المهمة الرئيسية لثوراتهم التحررية تنصب على تطهير الوطن بقوة السلاح من المستعمر والعملاء المتواطئين معه ، ولقد شهد النضال العربي عدة اشكال وطرز من الكفاح المسلح والنضال السياسى الذي هو جزء لا يتجزأ من ذلك الكفاح .

الشكل الاول

هو الطراز الشعبي الذي يعتمد على العفوية الجماهيرية ، ويقوم هذا الطراز على دعائم ـ الانتفاضات ـ ففي الفترة التاريخية التي كانت فيها القوات الاستعمارية تحتل الارض العربية وكانت نظم الحكم العميلة تقف في مقدمة الجبهة الرجعية المحلية ، كانت الجماهير الشعبية تثق بقوتها وقدرتها على النضال والصراع ، وقد اتحدت هذه الجماهير بفصائلها وطبقاتها المتعددة واسست تحالفا وطيدا استطاعت من خلاله توجيه ضربات قوية للرجعية والاستعمار ، وقد شهد طراز النضال السياسى او نضال الانتفاضات كما يجب ان يسمى الوانا من الكفاح المسلح في العراق فمثلا كانت الانتفاضات الشعبية ضد الانكليز والحكم العميل تشهد احيانا صداما مسلحا مع القوات القمعية ، وفي مصر تطور الامر الى شن حرب عصابات ضد الانكليز في القناة في عهد فاروق وحدوث عصيانات مسلحة في الريف المصري ،الامر الذي دفع الانكليز الى ارتكاب مجازر بشعة ، كمذبحة دنشواي .

◆ ولقد قال احدالمفكرين الكبار ان حروب التحرير ، تنطلق أولا وقبل كل شيء من البلدان المتخلفة في الريف ، اذ أن الريف يشكل

مجموعا هائلا من السكان اضافة الى رسوخ جذور الاعتزاز الوطني والقومي المتمثل بالوحدات الاجتماعية الصغيرة ووجود الحب المطلق للارض والثقة بالنفس والروح الانسانية الفطرية .

◆ وقد استطاعت حركة التحرير الوطني والقومي العربية تفجير كفاح مسلح في الريف العربي في اواسط القرن الماضي واوائل قرننا الراهن لما يتمتع به الريف من استراتيجية ومواقع حربية يمكن الحركة فيها بحرية ، الى جانب ضمان خطوط التموين بواسطة وجود هذه الخطوط ضمن الارض المزروعة ولكون الفلاح ذاته هو المناضل المسلح .. استطاعت هذه الثورات ان توحد الشعور القومي في البلدان العربية وتدفع الحركة الوطنية الى التحالف على اساس انجاز مهام الاستقلال الوطني والوحدة القومية ، وقد انتظمت جبهة متحدة واسعة ضد الاستعمار واستطاعت في تلك الاوقات أن تضم الفلاحين وعمال المدن والطبقات البرجوازية النامية ، الا ان هذه الاخيرة سرعان ما خانت أغلب فصائلها وهادنت المستعمر والمحتل وبذلك استطاع المستعمر ايجاد (بديل) يعتمد عليه وابراز حكومات عميلة واخرى مستترة .

◆ في الثورات المسلحة هذه كانت القيادة بأيدي الاعيان وشيوخ العشائر وبعض البورجوازيين والتجار أما الفلاحون والعمال فكانوا بمثابة الجند . وقد أعطت الثورات المذكورة الاستعمار دروسا لن ينساها ، واتقنت فن النضال المسلح وكبدت القوات الاستعمارية خسائر فادحة وأفقدتها مواقع استراتيجية هامة لفترات زمنية ليست بالقصيرة ، ثورة ١٩٢٠ في العراق وثورة عبد القادر الجزائري أو

ثورة الريف كما تسمى في الجزائر وثورة عرابى في مصر من قبلهما وثورة المغرب بعدئذ ، وهكذا استطاعت الثورة العربية فى المرحلة التاريخية الواقعة بين منتصف القرن الغابر وأوائل القرن الماضى ، خوض نضالات مسلحة حامية الوطيس في الريف ، الا انها لاسباب عديدة من أهمها ازدياد حدة التناقضات الاجتماعية في صفوف الثوار الذين تشعبت مآربهم واهدافهم الطبقية • لم تستطع تصعيد تلك النضالات الى حروب ثورية طويلة الامد ، الى جانب عدم وجود الوحدة الفكرية الجامعة والتكتيك ضمن اسلوب عمل له طبيعة شمولية وخصائص نسبية ، واضافة الى ذلك ، كون البورجوازية العربية ـ محليا وقوميا ـ ذات طبيعة مزدوجة فهى في الوقت الذى كانت فيه الى جانب الثوار ، كانت تتملق المستعمر وتؤكد ميولها الرجعية عن طريق (المهادنة) والتواطؤ مع الاستعمار والقوى الاقطاعية ، وفيما يختص بوحدة التنظيم المسلح لم تكن هناك أية (وحدة) في الوطن العربي وهذا ما جعل الاستعمار يأكل الاقطار العربية وثوراتها واحدة بعد الاخرى ، لقد كان شكل التنظيم والكفاح المسلح ـ دمويا ـ ضد الاستعمار الا انه كانت هناك ثمة اقطاعية على استعداد كامل للتواطؤ حالما تزدرد اللقمة الدسمة والسائغة في آن واحد •• ونأتى بعدئذ الى :

الشكل الثاني

في الشكل الثاني انتقلت الثورة العربية من واقع الانتفاضات وثورات الريف المسلحة الى الثورات ذات المهمات الشاقة واحتلت مشكلة النضال مركزا مرموقا ، حين أصبحت مسألة الانتصار من

أخطر المسائل الحيوية .. في الجزائر مثلا وفي أول تشرين الاول ١٩٥٤ تطورت حرب العصابات الى ثورة مسلحة انتشرت في الارياف والمدن وكانت لها عدة أشكال للكفاح ، وجوانب سياسية واجتماعية وتنظيمية .. في مصر تحول الجيش الى أداة ثورية بأيدي طلائعه .. في العراق استطاعت ثورة ١٤ تموز تحويل الجيش الى أداة بأيدى الشعب .. في الجنوب العربي تحولت انتفاضات المدن السياسية وعصابات الريف المسلحة الى ثورة منظمة ذات أهداف واحدة ومسالك مدروسة وانضباطية عملية وامكانات وطاقات تطبيقية ، بدأ العصيان في الريف ثم امتد الى المدن ..

عود على بدء

أصبحت المسألة اذن ذات هوية مشتركة ، فالبلاد العربية التى أحرزت استقلالها السياسى والاقتصادى ، وانجاز الاصلاح الزراعى ، ومناهضة الاستعمار بجدية ، وقد وصلت الثورة العربية من خلال هذه الطرز الثلاثة الى بلورة أهدافها في الحيز الفكري والعملي محاولة ايجاد صيغة موحدة للعمل الوطنى والقومى في جميع البلاد العربية ، الا ان المسألة ظلت كما بدأت وهى ان العرب لا زالوا فى حالة التجزئة ولا زالوا أمة أغلب أجزائها مستعمرة ومضطهدة ، ولا زالت ثوراتهم ذات استراتيجية مجزأة ان لم نقل متفاوتة ، فلماذا كل ذلك ولماذا لم تصل الثورة العربية الى وحدة القيادة ووحدة التنظيم ووحدة النظام والتطور الاجتماعي ؟..

مسألة التطورات الاجتماعيةغير المتساوية

للجواب على ذلك لابد ان نلاحظ تباين التطورات الاجتماعية في كل بلد عربى على حدة ، والتفاوت في نمو الطبقات ، والتضارب في مهمات العمل الوطنى والقومى في هذا القطر أو ذاك ، وتلك هى الجوانب السلبية ..

اما الجوانب الايجابية

فهي ان الثورات العربية بمراحلها المتعددة وانتكاساتها وانتصاراتها استطاعت بلورة نضال شبه موحد بسبب كون التناقضات التى تصطرع في الوطن العربى متشابهة السمات ولكون التحديات الموجهة ضد العرب موجهة اليهم كأمة أولا وكأقطار ثانيا ..

ان المسألة بالنسبة للعرب هي هذه : ثمة امة مجزأةومضطهدة .. وثمة ارادة واحدة تبغي التجسد في شكل عملي ، وثمة تناقضات اجتماعية تشل امكانات الانطلاق ، ثمة خطر خارجي وحرب مسلحة تشن عليهم بواسطة الاستعمار مباشرة وحرب أهلية تشن بواسطة الطبقات المتواطئة مع المستعمر ، والعدو الاسرائيلي الذي تسترت خلفه أمريكا وبريطانيا يهددنا بالمحو والفناء .

وتلك هي المسألة

أما الشكل الرئيسى للنضال فهو الحرب والشكل الرئيسى للتنظيم فهى الفصائل الثورية المسلحة : الجيش في الجبهة هو المقدمة.

أما جيش المؤخرة فهو الشعب وتنظيم الشعب والجماهير وتعبئتها مهمة تاريخية الى أقصى حدود الاهمية ، انها بدون جدال

ضرورية ، ولا يمكن اطلاقا اهمالها ، لانها مكرسة كلها لخدمة الحرب التحررية ، ولتكن كل التنظيمات وكل النضالات في الوقت الراهن في خدمة الحرب .

وبعد أندلاع الحرب فان جميع الاعمال التنظيمية وجميع النضالات تقوم مباشرة أو غير مباشرة بدور المساعد للحرب ، وليسعى العرب الى ايجاد قيادة واحدة لثورتهم وبلورة أعمال موحدة لتنظيماتهم الشعبية وجعل مؤخرة جيوشهم في مناطق الريف .

اذ أن الريف منطقة حرة للاعمال الحربية والتدريب والتموين والدرس والتنظيم والتثقيف الايديولوجي ، وليشنوا هجمات على مناطق العدو الضعيفة ، ولينهكوا قواه في مناطق قوته عن طريق المناورة ، وتلك هي أهم خصائص الحرب التحريرية العربية .

فلقد أثبت التاريخ المعاصر اننا نستطيع خوض حروب طويلة المدى في الارياف والصحارى والجبال واحدى مزايا هذه الحرب انها تنهك العدو المستعمر الى أبعد الحدود وتستنزف طاقاته الاقتصادية وتدمر الاته الحربية ، وبواسطتها يمكن مواجهة اسرائيل ترسانة الحرب وقاعدة الاستعمار في الحروب النظامية التي تعكس وسائل مبتكرة في الحرب وطبيعة الحرب الشعبية طويلة المدى تعكس أحيانا واقع القوى الضاربة المحاربة في الجبهة والقوى الشعبية المحاربة في الداخل ضد الرجعي والعميل والمتواطىء ، والحرب ضد الاعداء الداخليين تكون أحيانا موجهة ضد العدو الخارجي نفسه وهي في ذات الوقت تعكس الاشكال المتعددة للنضال الثوري ، ولكن جميع هذه الاشكال تمثل في كل مرة نضال

الثورة العربية المسلحة ضد الثورة المعادية لها في الداخل والخارج •

اننا فهمنا هذا الامر فهما كافيا من خلال تجاربنا واستقرائنا لمراحل النضال العربى ولذلك يجب أن نعمل جديا لحروب طويلة المدى وحروب سريعة في الجبهة وفي مناطق أخرى من المعركة •

الفصل الحادي عشر

بماذا تتسم حرب العصابات داخل اسرائيل

مسألة لابد منها

ان اخبار المقاومة داخل فلسطين المحتلة تروى في انباء الوكالات العالمية وعلى لسان القادمين من الضفة الغربية وغزة ونابلس : فأمام التحدى الاسرائيلى نجد الاصرار العربى على كسر شوكة العناد الامبريالى المدعوم بقوة حضارة تكنولوجية عدوانية • لقد شعر المواطنون العرب أن لا حياة لهم الا اذا انتقموا من المحتل والغازى • لان الشعوب التى تزداد عليها وطأة الضغط الاستعمارى والاضطهاد العنصرى والارهاب الدموى • تكون الابعاد التاريخية لحركتها ذات صلة وثقى بحروب المقاومة أو حروب الشوارع والارياف او الثورات الشعبية • ولذلك تصبح مضايقة الخصم المحتل في عقر داره وفي مؤسساته العامة والخاصة • وضرب دورياته وسياراته العسكريةوالمدنية وتدمير منشآته الاقتصادية بادرة اولى لحروب تحريرية منظمة •

◆ وحروب التحرير تختلف من مكان الى مكان باختلاف الازمنة والاوضاع المحلية • ففى الجزائر مثلا كانت حركة التحرير تعتمد على حرب الشوارع في المدن ـ أي على أعمال الفدائيين • وأعمال

النسف للمنشآت والمؤسسات الاجنبيـة والانتقام المسلح • أما فـى الارياف • فلم تتبع النظرية الصينية في حروب العصابات التى تقول : يجب تطويق المدينة بواسطة الارياف • وبذلك يمكن عزل المدن عن الفعالية واجهاض تحركات جيـوش الخصم عن طريق قطع المـؤن الاقتصادية وتكوين مقاطعات محررة تكون قواعد تربى فيها الكوادر المناضلة • وقواعد تدريب ومران عسكرى وسياسى واقتصادى •

تطويق المدن بواسطة الارياف

فجبهة التحرير اتبعت نظرية مزدوجة يتكامل فيها الريف مع المدينة • وقد لعبت مخابراتها دورا هامـا في عملية العصابات التـى مارسـتها • فالمعلومات في حروب العصابات يجب أن تكون دقيقـة ومضبوطة وفي وقتها المناسب سواء عن مدى قوة العدو ومكانه وعـن خططه وأوضاعه وأخلاق قادته وأساليبهم وظروفهم الخاصة • وطبعا تأتى المعلومات من الشعب ذاته الذى ـ هو الظهير الخلفى ـ لقوات التحرير ومجموعة الفرق المقاتلـة •

◆ وهكذا يصبح العدو مراقبا بألوف العيون غير المرئية التي تدرس جميـع تحركاته وايماءاته • حتى اذا حـاول الضرب أخطأ هدفه لانه يجهل موقع خصومه •• بينما تفوق العصابات فـى مجال المعلومات يمكنها من اختيار زمان ومكان المعركة المناسبين للضربة أو المعركة • يساعدها على ذلك معرفتها التامة بالمنطقة • وأخذها زمـام المبـادأة برسم خطوط المعركـة • لانها تكـون البادئة بالضربة • والبادئة بدور المهاجـم •

معرفة سلاح العدو .. ودور المرأة ..

ويعطى جيفارا أهمية خاصة لمعرفة سلاح العدو « سلاح العدو هو العنصر الاساس في عتاد الثورة » ويجب أن تكون شبكة المخابرات شديدة التنظيم وقادرة على النفوذ الى كل الامكنة وأن تعتمد كوادرها على الجميع نساء وأطفالا وشيوخا وأشخاصا من مختلف المهن .. ولقد حددت الممارسة الثورية في الجزائر أثناء حرب التحرير للمرأة دورا مهما الى جانب مهمات القتال والتمريض واعداد المؤن وتثقيف السكان وحياكة الثياب للمقاتلين .. وذلك الدور هو دور الراصد أو حسب تعبير جيفارا دور اللولب المتحرك داخل صفوف العدو . فالمرأة تستطيع ارتياد المحلات الخاصة دون أن يشتبه بأمرها . وتستطيع التخلص من المواقف الصعبة بدقتها .. وفي البلاد المتخلفة يكون للمرأة الامية دور مهم في حروب التحرير اذ أن للتقاليد من حجاب وعباءة دورا في اخفاء المنشورات والاسلحة والمفرقعات .

شواهد حية من النضال المسلح لعرب فلسطين

وقد أكدت الانباء الواردة من الضفة الغربية والاراضى المحتلة جميعها ان المنظمات العربية المسلحة تتبع اسلوبا علميا فى ممارستها لحروب العصابات . فقد أشارت أنباء العدو ان امرأة وضعت الحقيبة الملأى بالمتفجرات في احدى دور السينما التى يرتادها الصهاينة . وان الحقيبة التى وجدت في السفارة الامريكية في تل أبيب ادخلت بطريقة بارعة وان الذين أدخلوها يتقنون فنون المناورة والتخفى .

◆ وهكذا نجد أن قوى التحرير لا تخوض أية معركة الا اذا كانت احتمالات النصر كبيرة أو مؤكدة • أما اذا سارت المعركة على غير ما تشتهي قوى التحرير بادرت الى الانسحاب • وقد طبقت القوات الفدائية الفلسطينية داخل الارض المحتلة هذه النظرية بحذافيرها • فيذكر أحد بلاغات قوات العاصفة الصادر في اوائل شهر تشرين الاول عام ١٩٦٧ • ان قواتها المقاتلة انسحبت عندما وجدت ان نجدات العدو تفوقها بكثير » •

ويقول ماوتسي تونغ : على العصابات أن تكون خبيرة بالفرار طالما انها تكثر منه » وقد يكون الفرار في مجالات اخرى خطة هجومية تهدف الى دفع العدو نحو كمين أو الالتفاف حوله •

الوحدة والصراع

ومن أبرز ما تتضمنه نظريات ماوتسي تونغ في حرب العصابات • وحدة الضدين وهي قريبة في مضمونها من المثل العربي القائل : (الضد يظهر حسنه الضد) ومن الامثلة التي يوردها تونغ على صواب هذا المبدأ وفعاليته : عمل العصابات في مجموعات صغيرة هي ظاهرة ضعف بدون ريب • ولكنها في الوقت ذاته تمكن العصابات من التحرك السريع • كما ان تفوق القوى غير مستحب في حروب العصابات التي تعتمد على سرعة الضربة الخاطفة وسرعة الانسحاب • فتوهم العدو ، انها موجودة في كل مكان •

◆ وهذا ما نجده واقعا في الارض المحتلة اذ أن قوات الفدائيين اشتبكت مع العدو في يافا وفي نابلس وفي المستعمرات الاسرائيلية نفسها وداخل المؤسسات المدنية ، ويجدر التنويه في

نهاية استعراض آراء تونغ بالعصابات الصينية • فقد ذكر انها منيت ببعض الهزائم في معاركها مع جيوش شانغ كاى شيك فعمد ماوتسى تونغ الى ادخال اسلوب جديد على حرب العصابات آنذاك • اذ قضى بالاستناد على الفلاحين عوضا عن العمال في المدن • الا انه لم يوجد تناقض بينهما • وجعل القيادة للعمال باعتبارهم أكثر تطورا من الناحية الانتاجية • والى هذا التعديل النابع من التجربة الصينية يشير ماو بقوله : تؤلف الحروب التى خاضتها الصين صفحة من التاريخ لا سابقة لها » •

القوى الرئيسة في حروب التحرير

وقد أيد أرنستو شى جيفارا مذهب ماو • وبرأى جيفارا ان ماو قد فشل في المرحلة الاولى لانه استند على نواة عمالية في المدن فقط • بينما نسى الريف ، الا أنه نجح بعدئذ لانه اعتمد على الفلاح وجعل القيادة للعامل ويؤكد جيفارا : المقاتل في حروب العصابات هو أولا الفلاح الذي يعبر عن رغبة جماهير الفلاحين بامتلاك الارض ووسائل الانتاج والحيوانات • وعلى الثوار أن يختاروا مواقعهم في الريف •

◆ واذا ما طبقنا هذه القاعدة على الوضعية الاجتماعية في الارض المحتلة نجد أن العرب هناك يتعاونون باستمرار فالمدن مكتظة بالسكان • أما الارياف فصغيرة وغالبية الفلاحين من زراع الكروم والفاكهة • أى من صغار الفلاحين • وليس من معدميهم ولذلك نجد أن الاعتماد يجب أن يكون على سكان الريف والمدينة سواء بسواء • ونرى أن قتال الشوارع في الاراضى المحتلة لا يكون داخل

الاحياء والمدن العربية لان هـذا يعطى المبررات الكافية للعدو لكى ينسف المنـازل والمبانى العربية ويعزل الاحياء والشوارع والبيوت بالاسلاك الشائكة • وأفضـل طريقة للقتـال هى مهاجمة الاحيـاء والمعسكرات والقطارات والمطارات والمدن الاسرائيلية ذاتهـا •• اذ أن هذا يضيع الفرصة على قوات الصهاينة في تعقيب الفدائيين ونسف بيوتهم • هـذا اولا • أما الشىء الثانى ، فهـو ان ترتبط المنظمـات جميعها في منظمة واحدة تكون لهـا برامج سياسية تكتيكية وبرامج فكرية بعيـدة المدى • وجبهـات متعددة تثقيفية وطبيـة وسياسية واقتصادية ودبلوماسية وخبراء في علم النفس يستطيعون رسم خطط الارهاب النفسى ضد السكان الصهاينة لاجبارهم على الهجرة والجلاء•• أما فيما يخص الرجل الفدائى الفلسطينى فيجب أن لا يكون رجـل حرب فقـط • بل يجب أن يكون كما يقـول جيفارا : انـه ثورى اجتماعى يحمل السـلاح ليسمع الحاكم والمحتل صوت الشـعب ، ويقاتل ليغير عقلية الناس والنظام الاجتماعى القائم ويطرد المحتل من أرضه • انه يعرف الارض التى يقاتل عليها جيـدا • أماكن التخفى فيها وهو قدرة في سلوكه وتتوافر فيـه الشروط الجسدية والعقلية والمعنوية •• شجاع •• جرىء •• مالك لاعصابه في حالات الخطر ، قـادر باستمرار وفي شتى الاحتمالات والظروف على اتخـاذ موقف متفائل •• حذر •• جلد •• صبور •• قليل الكلام •

امكانيات النجاح والفشل في حروب التحرير

والعبرة في حروب العصابات النجاح وليس الفشـل • اذ أن الفشل يؤدي الى تقوية مواقع العدو وتشديد قبضته واحتلاله وازدياد

بطشه وعسفه وارهابه لذلك يجب الاستماتة من أجل انجاحها بعلم وبصيرة وعمل مدروس ومنظم • فلم تكن حروب العصابات كلها ناجحة على غرار الصين وكوبا والجزائر وعدن والهند الصينية بل منى بعضها بالفشل • فقد فشلت عدة جبهات مسلحة وحروب عصابات في احدى البلدان المجاورة للاتحاد السوفياتى • وكانت أسباب الفشل تعود الى أن روح العصيان كانت لدى قوى الثورة أكثر من روح العلم الاصيلة • وقد كان العصيان خاطئا من الناحية التكتيكية • كما كان هناك نقص في الاعداد والتحضير • اضافة الى انطلاق العصيان من مواقع تسكنها أقليات ، الامر الذي سبب تناقضات عنصرية •

◆ يتحدث ـ كلود دلماس ـ في كتابه « الحرب الثورية » عن سبب هذا الفشل وينبه الى ان قادة الثورة في تلك البلاد الشرق أوسطية معظمهم من المثقفين الذين لم يفهموا الثورة الا عبر الجماهير العمالية والمنظمة • بينما أهملوا الفلاحين الذين يشكلون نسبة ٦٠ بالمائة من السكان • فالجماهير حسب اعتقاد هؤلاء القادة لا يمكنها استخدام حروب العصابات في الريف • لان استخدام التكتيك الكلاسيكى للعمال هى الاضرابات والارهاب والعصيانات تؤدى الى انجاح الثورة في البلاد التي يحكمها مواطنوها • وهذا التكتيك لا فعالية له تجاه جيش قوي موال للسلطة •

ويقول دلماس : ان اولئك القادة قد تجاهلوا درسا هاما من دروس الحرب التحريرية ودروس ماوتسى تونغ وهى ان البادرة العمالية الثورية في بلاد يطغى عليها الجانب الزراعى • عليها أن

تكتمل بثورة جماهير الفلاحين وبتأسيس أوكار للثورة المسلحة في الريف .

◆ هذا الفشل وغيره يدفعنا الى الفات نظر ثوار فلسطين داخل الارض المحتلة الى أخذ العبرة من تجارب الشعوب . والتبصر بمواقع أقدامهم وعدم الاقتصار على العمل الفدائى المسلح . اذ أن الاقتصار على العمل المسلح يؤدى الى تجريد حروب التحرير من أهم عنصر أساسى . ألا وهو الوعي الايديولوجي الذي يسبب ارتفاع المعنويات ويشحذ الاسلحة الوطنية والقومية والطبقية كالارتباط بالارض والشعب والمكان والامة الخ ...

بين السلب والايجاب

ولفهم أسباب فشل بعض الثورات وحروب العصابات أيضا ندرس أسباب فشل الثورة اليونانية التى قادها ـ ماركوس ـ فى أواخر الحرب العالمية الثانية .

وفي البداية يتوجب علينا استعراض المبادىء التي قامت عليها والاساليب التى اتبعتها واستخدمتها . ولكن قبل القيام بهذا العرض يجب الاخذ بنظر الاعتبار الاطار والظروف التى انطلقت منها حركة ماركوس .

فاليونان كانت قد خرجت من الحرب العالمية الثانية وقد اصيبت بأضرار بالغة . وكانت أحوالها الاقتصادية سيئة للغاية . ودعاة الثورة لا يزالون أقلية . ولكنهم تمكنوا في وقت سابق من السيطرة على حركة المقاومة اليونانية ـ ايلاس ـ ولدى عودة الجيش اليونانى الى بلاده .. انتقلت قوات ايلاس الى مناطق الحدود ومن هناك

باشرت بتنظيم صفوفها بقيادة ماركوس استعدادا للقيام بانتفاضتها المسلحة .

١ ـ لقد كان في طليعة الاهداف التى سعى ماركوس لتحقيقها هى تسجيل انتصار على قوات الامن الداخلى الذين اضطروا تحت الضربات القوية المتتابعة الى التراجع والالتجاء الى المدن الكبرى .. تاركين بفرارهم الارياف تحت رحمة الثائرين . فتمكن رجال العصابات من السيطرة على عدد من القواعد الهامة . وسهل عليهم عزلها نظرا لطبيعة الارض ورداءة الطرق وخطوط المواصلات .

٢ ـ لقد امتدت الثورة الى جميع أنحاء اليونان . ولكن الاعمال الارهابية انحصرت فيما بعد في ثلاث مناطق رئيسية ، هى مرتفعات كراموس وفيشى وجبال ـ الباند ـ

٣ ـ كان أنصار ماركوس لا يتجاوزون في البداية ٣ الاف رجل . وقد تضاعف عددهم في عام ١٩٤٦ ليصبحوا بعد عام واحد ٢٥ ألفا . كما كان بامكانهم الاتكال على مساندة ٢٠٠ ألف مؤيد وكان الجيش اليونانى في المقابل غير منظم ولا يضم سوى ١٢٠ ألف رجل .

٤ ـ ان الجيش اليونانى قد دخل المعركة ضد رجال العصابات بكوادره العادية لمجابهة الحروب الكلاسيكية فقط . وقد وقف الجيش في وقفة عجز كلي تجاه الشراك والكمائن التي نصبها رجال العصابات . والاعتداءات التى قاموا بها على المراكز فى الليل وكذلك لم يحسن التداول مع الجماهير الشعبية . أو يتمكن من

حماية الموظفين الذين ظلوا مخلصين للحكم القائم من أعمال رجال العصابات الانتقامية •

٥ ـ عمدت الحكومة اليونانية الى انشاء قوة جديدة أطلقت عليها اسم حرس الدفاع الوطنى لمساندة الجيش واوكلت اليها مهمة الدفاع عن المواقع الهامة • وقد كان انشاء هذا الحرس أول علاج للاخطاء التى وقع بها الجيش اليونانى •

٦ ـ بينما كانت السلطات منصرفة الى التكيف مع التزامات الحرب الثورية ارتكب ماركوس هفوتين هامتين : عمد للتعويض عن النقص في رجاله الذين قضوا نحبهم في المعارك ، بقبول متطوعين جدد لا يملكون الخبرة والكفاءة المطلوبين بالاضافة ان التهيئة الايديولوجية كانت هزيلة جدا •• ثم قام بتبديل الارتباط العضوى لوحداته • بارتباط جديد مستوحى من الاساليب الحربية التقليدية •

وفي هذه الاثناء ولضعف في وسائل ماركوس الدعائية ولعدم قدرة مجموعاته استغلال تناقضات الشعب • بدأت غالبية الشعب اليوناني تعتقد أن الثوار يهدفون الى اقامة اتحاد لدول البلقان يخضع لسيطرة السوفيت • تدخله اليونان بعد أن تقتطع منها مقدونيا التى تلحق بيوغسلافيا وتراسيا التى تلحق ببلغاريا • وعرف المارشال بابا غوس كيف يثير هذا الشعور القومى ويعيد تنظيم الجيش • ويبث فيه روحا جديدة وايمانا بالقضية التى يحارب من أجلها •• ويحدد المؤلف الفرنسى كلود دلماس في كتابه الحرب الثورية ـ أسباب فشل حركة ماركوس بثلاثة:

أولا ـ لم تستقطب ايديولوجية ماركوس الروح الوطنية •

ثانيا ـ لم ترتكز حركته السرية على بناء داخلي صلب .

ثالثا ـ تم تدريب الانصار في وقت عاجل جدا .

وهذه العوامل تقودنا بدورها الى الاسباب الاتية :

الامر الاول : يمكن التحدث عن أقليات ثورية فاعلة . أو أقلية مبدعة كما يسميها المؤرخ أرنولد توينبي في كتابه بحث في التاريخ . ولكن ليس بامكان اي جماعة او حركة أن تقوم بثورة اذا لم تحقق ولو حدا أدنى من مساندة بقية فئات الشعب . وخاصة في حروب التحرير حيث تلتحم الاهداف الوطنية والقومية والاجتماعية

الامر الثاني : لا يمكن القيام بحروب العصابات أو التنظيمات الثورية الصلبة في قاعدة ما . وبالتالي ايجاد فعالية ذات تأثير ايجابي على التنظيم السرى . اذ لم تكن هناك مساعدة كاملة من سكان المناطق التى يوجد فيها التنظيم أو ينطلق منها .

الامر الثالث : هناك خطر من تحول العصابات اذا تكاثرت الى جيش تقليدي يتبع نفس أساليب الحرب الكلاسيكية وطرق القتال الاعتيادية . فالجيش التقليدي سيبقى دائما متفوقا في هذا الحقل . نظرا لتفوقه في العتاد وعدد الافراد .

استراتيجية العدو الصهيوني في محاربة حرب العصابات

في الواقع لا توجد استراتيجية موحدة لمواجهة حروب العصابات ولكن هناك قاسم مشترك أعظم لدى المستعمرين والمحتلين يتلخص بالنقاط التالية :

◆ استخدام أساليب العصابات ذاتها في محاربتها كمهاجمتها ومضايقتها بصورة متواصلة أو انزال قوات في الاراضى التي يسيطر

عليها رجال قوات التحرير واجراء حرب عصابات مضادة وهذا ما تحاول اسرائيل اتباعه مؤخرا •

◆ العمل على حمل أفراد العصابات على التفرق عنها أو الخروج عليها والقاء القبض على أكبر عدد من الاسرى • فمما لا ريب فيه ان أفضل مصدر معلومات عن العدو هم اولئك الذين يحاربون في صفوفه •

◆ تشكيل قيادات جريئة وواسعة الادراك والخيال • يتم اختيارهم في ضوء هذه المزايا التى تؤهلهم لمواجهة الاوضاع الدينامية والمتحركة بخلاف وضع الحروب التقليدية كما كان الحال لدى جنود المظلات الفرنسيين في الجزائر الذين لعبوا دورا قذرا في مطاردة الثوار وابتداع اسلوب ـ الاستجواب ـ والتعذيب الجسدي البشع •• وعزل السكان العرب بواسطة الاسلاك الشائكة والمكهربة أو كما هو الحال في الاراضى المحتلة • واعتماد اسرائيل على العزل السكانى واقامة مستعمرات يهودية محصنة تحيط بها مواقع حربية كونكريتية تستعمل في السلم لتصفية المياه وفي الحرب كمواقع للقناصة والكومندوس •

◆ انشاء قوة خاصة من القناصة تداهم مخابىء العصابات وتتصيد رجالها الى أن تقضى عليهم أو تجبرهم على الخروج من مخابئهم فتتولى الوحدات الكبيرة ابادتهم • ويعتبر هذا المبدأ من أهم الميادين في الحرب المضادة للعصابات اذ ان الجزء الاكبر من قوة العصابات يتعلق بسرية مخابئها • بالاضافة الى ان عمليات القناصة

تجبر العصابات على نقل قتالها من جانب هجومي الى جانب دفاعي وهذا يفقدها قوة المبادرة .

◆ انشاء قوة من الجنود مخصصة لمحاربة العصابات على أن تتوفر في أفرادها القدرة على تحمل الحركة السريعة . والسير الطويل . والتغلب على الاجهاد والجروح والامراض . واليقظة الدائمة . والعناية بالتفاصيل وعمليات التركيز . والاعتناء على الارض التي يحارب فيها الجندي . وأن يلم بلغة وعادات أهل البلاد المحلية. وطرق التعامل مع الاهالي .

◆ تحصين طرق المواصلات والمؤسسات العامة وتزويدها بالألات اللاقطة التي تتصل بأجهزة سرية متصلة بمعسكرات أو مراكز الجيش .

◆ تطوير الاسلحة والذخيرة بتخفيض أوزانها تخفيضا كبيرا . والبحث عن أسلحة جديدة وفعالة . وقد تحدثت النيوز ويك في عددها الصادر في ٣ تموز ١٩٦١ عن قيام البحرية الاميركية باجراء اختبارات على سلاح جديد يتمثل في متفجر سائل بطيء المفعول ينطلق من مدفع أشبه ما يكون بقاذفات اللهب ويتسلل الى الاوكار والمرتفعات . واذا امتص الاوكسجين الموجود في الهواء بعد لحظات انفجر بقوة .

ويمكن تلخيص عمليات مكافحة حركات التحرير من وجهة نظر عسكرية استعمارية في كلمات ثلاث : تحديد . الموقع . عزلة . تصفيته .

◆ وقد تعلم موشي ديان وزير دفاع العدو جميع هذه الاساليب

أثناء ممارسته طرق مكافحة قوات التحرير الفيتنامية مع القوات الاميركية الغازية في أرض الفيتنام المكافحة • وقد تعلم ديان اصول الحرب النفسية • والتضييق على رجال العصابات وتجويعهم • ونسف المنازل • كاسلوب للردع • والفصل بين رجال العصابات والمواطنين العاديين وعملية غسل المخ بواسطة الدعاية والنداءات • وتقنين الدراسة والفكر والصحافة • ومحو اللغة العربية التي يستعملها أهل البلاد • والتحكم المطلق بالاقتصاد • والاعتماد على مخابرات أهلية داخل المناطق التى ينطلق منها رجال العصابات •

النجاح المحتوم

•• الا أنه يبدو أن نجاح حروب العصابات العربية يسير فى طريقه المرسوم ما دام يرتكز على القواعد العلمية التالية :

أولا : ديناميكية الحركة وسرعة السير في الاعمال الفدائية فالجمود علة رئيسية في حرب العصابات تؤدى الى أضرار فادحة • وأضرارها في عمليات العصابات أكثر من ضررها في الجيوش النظامية اذ يسمح الجمود للخصم بالتحرك ويشدد على مواقع قوات التحرير ويثبط في الوقت ذاته همم السكان المحليين فى الانضمام الى رجال العصابات •وقد تلافت القوات الفدائية في الارض المحتلة هذه العلة وبرزت قوة فعالة وفاعلة في التحرك السريع دون أي توقف ولو مؤقت •

ثانيا : ان بعثرة وحدة رجال العصابات لا يؤدى الى اكساب العدو مواقع أساسية فستراتيجية القوات الفدائية دائما هجومية وهى تتناقض كلية مع المبادىء الدفاعية أو المراكز الثابتة والمحددة • بل

غالبا ما تحدد المواقع بطريقة فورية ومباشرة وبحسب ما تمليه الظروف الراهنة • ويتوجب بالتالى أن يكـون مركز انطلاق الفدائيين العرب من جبهة واحدة في الخارج والداخل وان تتعرف على هذه الامكنة داخل اسرائيل • فالتفرق شرط أساسى • فالعصابات لا تؤلف في أى وقت هدفا بامكان العدو ضربه •• بل تتحرك كجزئيات الزئبق ثم تنفرط في أية لحظة ثم تتجمع وتنطلق • فمما لا شك فيه ان الوجود الكلي للعصابات في كل مكان ولا في مكان من الاسـباب الحاسمة لنجـاح عملياتها •

ثالثا : تطبيق قاعدة اضرب واهرب • أو كما يقول ماوتسى تونغ : انسحب عندما يتقدم العدو • واضربه عندما يعسكر أو ينام • ضايقه عندما يتوقف ، كل له الضربات عندما يصبح مجهدا • طارده عندما ينسحب • ويقول جيفـارا : هو الهجوم المفاجىء • المباغت العنيف القاسي •• ثم فجأة الجمود الكلى المفاجىء •

رابعا : ان منـاطق فلسطين فيهـا الكثير مـن الاماكن الوعـرة والغابات وهـى المناطق المفضلة لعمـل العصابات • اذ تؤمن لافرادها مجـال التفرق والضرب المباغت شرط أن لا تكون بعيدة جدا عـن مصادر المـؤن • ويجب تجنب المناطق المكشوفة والقريبة مـن قواعد الانطلاق التى يمكن ضربها من البر والجو •• أما في المدن فتكون عمليات التدمير والتخريب وسيلة ناجحة لاقلاق العدو وارهابه نفسيا•

خامسا : تنظيم السكان أو الشعب وضمان مساعداته المالية ومد رجال العصابات بالمؤن والمعلومات • والارتباط العضوي مـع الشعب يؤدى الى جعـل رجال العصابـات مجموعة ثوريـة ذات ايديولوجية

تاريخية ومنطق علمي رصين • والتفكير بأن قوات التحرير ليست وحدها • والعدو الصهيوني يسعى لعزل السكان العرب عن الفدائيين بشتى الوسائل • ومن هنا يبرز الدور البارز لتلاحم القوات الثورية مع الشعب العربي داخل الارض المحتلة • وأكثر من ذلك يكون دور العرب القاطنين على الحدود الاسرائيلية اذ أن هؤلاء يكونون مراكز تجمع وانطلاق •

سادسا : ضمان سرية العمليات الحربية وابقاء العدو على جهل مطبق بحركة العصابات وهذا يتطلب وجود أجهزة اعلامية ذكية ليس لدى الفدائيين فحسب وانما لدى الدول العربية فتحقيق النصر لا يتم الا باضفاء طابع كثيف من السرية على التحركات العسكرية• وبالتالى التقليل من التهويل والمبالغة •

سابعا : اعتبار العدو مصدر سلاح للعصابات أذ أن التجهيز الحربى بواسطة الاستيلاء على أعتدة العدو وسلاحه ليس غريبا فى أثناء حدوث قتلى وجرحى •

◆ تلك هي نظريات وأساليب التطبيق في حروب العصابات وسوف تستفيد منها القوات الفدائية الفلسطينية من أجل تحطيم وتدمير واجتثات اسرائيل وتطوير العمل الفدائي الى حرب تحرير شعبية •

الباب الرابع

الاقتصاد والمعركة

الفصل الثاني عشر

ماذا تعني اقتصاديات الحرب

الطريق الى الاقتصاد الحربي

ان الفرق بين اقتصاديات السلم واقتصاديات الحرب ان الاولى تهدف الى الاشباع والرفاهية وتلبية الحاجات الاجتماعية • أما الثانية فتهدف بالدرجة الاولى الى تلبية متطلبات التسليح والتعبئة العامة واحراز النصر • وهذا يستوجب تركيز الاقتصاديات في المشاريع المنتجة الصناعية والزراعية وجعل مشاريع الخدمات تدر ربحا يعوض الخسائر الاقتصادية المتأتية من جراء الحرب • الا أن هذا لا يعني تحويل مشاريع الخدمات كالمستشفيات الرسمية ووسائط النقل العامة الى أداة اقتصادية مربحة فهذه المشاريع وجدت من أجل خدمة الطبقات الشعبية ورفع العبء الاقتصادى عنها • وبالتالى يجب أخذ هذه المسألة بنظر الاعتبار • بيد أنه يجب ايجاد تأمين اجبارى على المساكن والعمارات والمصانع من أجل توفير سندات مالية توفر (سيولة نقدية) تجعل اقتصاديات الحرب قادرة على الايفاء بالتزاماتها •• كذلك يجب ايجاد تأمين اجبارى على الحياة • اذ أن هذا الامر يوفر للدولة مبالغ ادخارية كبيرة ويدفعها الى التعويض عن حياة مواطنيها في حالة الحرب نفسها بمبالغ تقى الناس من شرور التشرد والفقر المدقع عند تهدم بيوتهم أو موت معيلهم وما شابه •

ومن ثم يصبح المجهود الاقتصادي في خدمة المجهود الحربي الذي يخصص أكبر الموارد الانتاجية من مالية وبشرية للاستهلاك والاستثمار الحربيين (سواء كان الامر حربا نظامية أو شعبية) ويجب أن لا ننسى أن توسيع الطاقة الانتاجية للمجتمع على حساب الاستهلاك سيوفر احتياجات اقتصادية هائلة • كما ان استيفاء ما سميناه (بسندات الحرب) من الطبقات الغنية والتجارية وأصحاب الرساميل والعقارات سيرفع العبء عن كاهل الطبقات الشعبية التى تساهم في اقتصاديات الحرب عن طريق زيادة الانتاج وزيادة ساعات العمل والالتحاق بصفوف القوات المقاتلة لدفع ضريبة الدم • وهكذا نحصل على توازن طبقى في البلاد العربية التى تعيش في ظل اقتصاديات رأسمالية أو شبه رأسمالية أما في البلاد العربية التى فيها اقتصاديات شبه اشتراكية فان المعركة تضطلع بها الطبقات الشعبية انتاجا واقتصادا وفكرا •

التوسع الرأسى في الزراعة والصناعة والزيادة في ادخار الدخل القومي

◆ وخوض حروب التحرير أو الحروب النظامية يستلزم بناء اقتصادى متين • ومن هنا يكون الهدف العريض للدولة هو التوسع في الزراعة والصناعة الانتاجية معا • وزيادة الادخار في الدخل القومي (ليس فقط لسد احتياجات الحرب) وانما من أجل الاسراع بالتطوير الاقتصادى الى مداه الاكمل وافقه الارحب وبناء أساس اقتصادى صلب يصمد أمام ـ الاستنزاف ـ الذى تسببه الاحتياجات الحربية ، واذا كانت نسبة الادخار قد وصلت الى ٩ بالمائة في سنة ٦٦ في العراق فانها قد وصلت في مصر في العام نفسه الى نسبة ١٤٫٥ بالمائة وهذه النسبة قليلة حتى بالقياس مع الاقتصاديات

الرأسمالية التـى وصلت الى ٢٥ بالمائـة و ٣٠ بالمائة في المجتمعات التى في طريقها الى الاشتراكية والتى هى في حالة تحول اجتماعى .

ضرب احتكار السوق والحد من الحيازة المالية الضخمة

◆ ومن أهم المسائل في اقتصاديات الحـرب : التخطيط .. فالاقتصاد يضمن العمل للاعداد الغفيرة من البطالة ويحد من احتكار السوق ويحـول دون تضخم الملكية الفردية الى الحـد الذي تشكل فيه خطرا على اقتصاديات الحرب بواسطة الحيازة المالية الضخمة أو حيازة سندات المال التى تجعل المصارف ملكا لشخص واحد أو عـدة أشخاص كما يعبر الاقتصاديون . كذلك من أهم مسائل اقتصاديات الحرب ايجاد مشاريع ذات سمات وخصائص حربية لامتصاص البطالة وتشغيل اليد العاملة وتوظيف رؤوس الاموال المدخرة وايجاد مزارع حكومية . وابراز الفنون الاقتصادية التخطيطية في مضمار الدراسات والنشريات . وتشجيع أدبيـات وأفكار التحرير في المضامير الادبيـة والفكريـة .

التكامل بين الانتاج المدنى والانتاج الحربي

هذه الطبيعة لاقتصاديات الحرب تتضمن التنسيق والتكامل الكفي بين الانتاج المدنى والانتاج الحربى وابراز التخطيط فـى الاستهلاك والاستثمار . وهذا يستدعى تحويل جزء من الطاقة الانتاجية الآلية والبشرية من حيز الاستهلاك الى حيز الاستثمار الحربى ، من حيز الانتاج السلعى الاستهلاكى ، الى حيز الانتاج الحربى الذي يجعـل عرض السـلع الاستهلاكية محدودا . ويمكن القول ان جوهر هذا التغير النوعى هـي السمة الاساسية للانتاج الحربي . وعـلى ذلك

يجب الحد من الاستهلاك المدنى الحكومى والاهلى •• وهذه الامور توفر الفائض الاقتصادى والمواد الضرورية وتحافظ على مستوى الاسعار وتضرب احتكار السوق وتكون قادرة على مواجهة احتياجات المجهود الحربى •

هذا في المضمار الداخلى أما في المضمار الخارجى فيمكن الاستفادة من التجارة الخارجية الى أبعد الحدود عن طريق المقايضة بالمثل أو القروض وما شابه • وهنا تأتى الاستفادة من سلاح البترول في وقتها • فيمكن بيع البترول للدول الصديقة والدول الاجنبية الاخرى لشراء الاسلحة والمصانع وبالتالى توفير التوازن بين مجهودات الداخل ومجهودات الخارج وتحقيق هذا التوازن يتطلب الامور التالية :

اولا :

ـ توسيع التجارة الخارجية الموجهة للمقايضة السلعية التى يستطاع الحصول بواسطتها على الآلات الحربية والاسلحة والآلات الانتاجية والاستثمارية كالحاصدات والحارثات وما شابه •

ثانيا :

ـ توسيع الاستخراج البترولى والكميات البترولية المنتجة من أجل زيادة العائدات وهذا يستدعى الضغط على شركات النفط الاجنبية واخضاع حساباتها وعملياتها الفنية الاستخراجية لرقابة الدولة وبالتالى زيادة الضرائب على مستورداتها من آلات ومواد كيمياوية وآلات فنية ومواد كمالية وطرود الخ •• لان هذا يوفر الكثير من العملات للدولة ويجعلها مطمئنة على ثرواتها البترولية • وفى ذات

الوقت تكون في مأمن من الضغط الاقتصادى الذي تباشره الشركات النفطية الاحتكارية التابعة للدول الامبريالية الاستعمارية بواسطة انقاص وتخفيض الكميات البترولية المنتجة وتعليل ذلك النقص والانخفاض بأسباب فنية وجيوفيزاوية .. هذا اذا لم تستطع الدولة السيطرة على ثروتها البترولية وتأميمها . وتنشيط شركات النفط الوطنية عن طريق اعطائها القروض المالية التي تمكنها من تصريف امورها . ودفعها الى استثمار الحقول المنتزعة من الشركات الاحتكارية الاجنبية . وجعلها قادرة على تسويق الكميات البترولية المستخرجة وبيعها في الاسواق الخارجية بسعر الكلفة أولا ثم بالاسعار العالمية .

ثالثا

حصر العملة الاجنبية والمحلية في الداخل لغرض ايجاد (السيولة النقدية) باستمرار . ولغرض استيفاء الضرائب على الرساميل الكبيرة وضرب المحاولات التي تقوم بها البورجوازيات المالية والتجارية في حالات الحروب لغرض افقار الدولة وبالتالي دفعها الى الاستسلام امام العدو .. فضمان حصر العملات في الداخل . وسد منافذ الهروب -يروض- اصحاب الرساميل الوطنية ويربط مصلحتهم بانتصار اوطانهم وامتهم ويدفعهم الى احتضان اقتصاديات الحرب .

عوامل الوعي الوطني والاقتصادي وتحريك الجماهير بواسطة السياسة

ونعود الى المضمار الداخلي فنرى ان الزيادة في الانتاج توجب زيادة ساعات العمل وطبعا زيادة ساعات العمل ستقابل بردود فعل سلبية لان الانسان يكره زيادة الاعباء العملية

والالزامية والمالية عليه بدون مقابل مالي أو غير مالي • لكن الانسان العامل على استعداد للمزيد من البذل اذا كانت هناك حوافز ودوافع تحركه •• وهنا نرى اهمية عوامل الوعي السياسي والاقتصادي • وبداهة لا تتمكن الدولة ومؤسساتها القيام بهذه المهمة اذا لم يكن هناك تنظيم سياسي يضطلع بالمسوءولية ازاء قضية جوهرية وهامة • وغياب التنظيم السياسي يعني غياب النظرية الهادية لدى الدولة سواء كانت الدولة رأسمالية أو شبه رأسمالية أو اشتراكية وبالتالي وقوع أجهزتها فريسة التناقضات التي تصبح في داخلها بين طبقات المجتمع المتعددة وفئاته المتضاربة ومصالحها المتباينة •• ان تحفيز عوامل الوعي الوطني والقومي والطبقي لا يكون باجراءات ادارية او اعلامية ولا بدعاية صحفية اذ ان هذه الوسائل ليست ذات تأثير ايجابي على الانسان الذى لايعرف الشيء الا بواسطة ـالعملـ ولا يلتزم الامور الا بواسطة ـالتقنينـ الجماعي والارتباط الاقتصادي الموءطر بالسياسة •

وهكذا نرى ان النظم الاشتراكية هي القادرة على تنظيم ـ المادة البشرية ـ او الثروة البشرية ـ التي تتفوق قوتها الكامنة على قوى الطبيعة في احيان كثيرة •• ومن هنا فان التخطيط للنصر في المعركة اقتصاديا لا يتم بمعزل عن تنظيم الثروة البشرية • فهو مرهون بحشد الطاقات وتطهير الدولة من شوائب الرجعية وادران البيروقراطية •• والارتباط العلمي بالجماهير • فالخط الجماهيري هو شرط النصر • وذلك لسبب بسيط هو ان الغالبية العظمى من الشعب العامل ليست مستعدة للقتال من اجل لا شيء • والارتباط بالتراب والارض هو في

نفس الوقت ارتباط بالكرامة ارتباط بالقوت والمكتسبات والحرية • وقد يقول قائل ان العدوان الذى تتعرض له امتنا العربية لن تحله السياسة • وان سلبية الناس ازاء السياسة مرده التجارب والصراعات الدموية • ومن اجل ذلك يجب ان تكون التعبئة اقتصادية •• والجواب على تحديات العدو تكون عن طريق التعبئة الاقتصادية فقط• لكننا نرى أن الاقتصاد لا يكون الا بواسطة السياسة هذا أولا •

اما الامر الثاني فان الشعب العامل في حالات الحروب يهتم بالسياسة كثيرا وتجذبه الوقائع الى معرفة الامور الجوهرية وتفهم مسبباتها • ولهذا فان تعبئة الطاقة البشرية لن يتم الا بواسطة السياسة• وهنا يثور امامنا سوءال •

أي سياسة نريد ؟

وطبعا يكون الجواب السياسة الاشتراكية او سياسة طريق التحول الى الاشتراكية • ولكن كيف نحقق ذلك وهل هي مهمة الدولة لوحدها • وهل ان ذلك يتحقق بمحض الاختيار بواسطة ارادة الموظفين أو الاداريين او غيرهم ؟•

◆ ان جواب ذلك من الواجبات الاساسية للفكر العلمي فالاشتراكية لن تكون بارادة احد وانما بواسطة التغيير الاجتماعي أو الثورة، والواقع العربي قد وصل مرحلة الاعداد لها وتلك هي أهم شروط التغيير التاريخي العميق •

◆ ذلك هو الجانب السياسي والجانب الاقتصادي • وتكملة لمستلزمات الجانب الاخير في البحث عن اقتصاديات الحرب نجد ان النقاط التالية تعبر عن متطلبات هامة وهي مكملة للجانب السياسي أيضا :

◆ تشغيل النقابات والجماعات والنوادي والطلبة باعمال انتاجية بعد اوقات الدوام الرسمي باعمال زراعية وصناعية يرصد ريعها للمجهود الحربي • كأن تقام مزارع جماعية في ضواحي المدن • وورش صناعية في الاماكن التي تتوفر فيها الشروط الاقتصادية •• أو كأن تقوم مجموعات من هذه النماذج بدخول المصانع والمعامل والمطابع لانجاز مهام انتاجية بعد اوقات العمل الرسمي للعمال • فالكثير من المصانع والمعامل لا تستغل من طاقاتها الانتاجية سوى الثلث والربع احيانا •

◆ فرض ضرائب دفاع تصاعدية على اصحاب الدخول الكبيرة•

◆ فتح سجلات شعبية للاكتتاب لاقامة صناعات خفيفة تكميلية للحيلولة دون قيام سوق سوداء للمواد التي منع استيرادها من دول العدوان • ومحاولة توفير تلك المواد او بعض منها •

◆ التحكم بطلب السلع وعرضها •• وهذا لن يكون الا بواسطة التحكم بالسوق اي فرض الرقابة من الدولة ومن المؤسسات الشعبية على السوق كما ذكرنا •

◆ أيجاد موازنة اقتصادية بين احتياجات المدن بحيث لا تطغى مستوردات مدينة على اخرى اذا كانت احتياجاتها متساوية • اضافة الى تحقيق ما يسمى في علم الاقتصاد ـ بالتوافق الزمني ـ أى وصول السلعة في الوقت المحدد حتى لا يكون هناك فارق زمني يستطيع فيه التاجر رفع الاسعار • مثال ذلك احتكار بعض التجار للفواكه الصيفية ومن ثم خزنها وبيعها بعدئذ في الشتاء بارقى الاسعار •

◆ عدم التفريط بالمواد الستراتيجية • وتنظيم عمليات تخزين

الوقود والالات الاحتياطية والمواد الضرورية والملابس في جميع مستويات اجهزة الدولة ومختلف وحدات المجتمع •

◆ ورغم ذلك ، رغم اهمية هذه القضايا فان للمسألة جانب اخر وهو الجانب الزراعي • فتكون اقتصاديات الحروب تعتمد على الزراعة والارض التي تضمن المواد التموينية للقوات المقاتلة وتربط الانسان الى التراب • تكون ضامنة ايضا لسلامة مؤخرة الجيوش التي تفرضها مستلزمات واعتبارات الامن العامة • كما ان الزراعة توفر فوائض اقتصادية كبيرة وتدعم النشاط الاقتصادي وتوقف تدفق العملة الصعبة الى الخارج كذلك فانها تدمر الضغوط الاقتصادية للدول الاستعمارية التي تشنها بواسطة شركاتها البترولية او بواسطة ضغطها على التجارة الخارجية للدول التي اعتدت عليها وبوسائلها الاخرى ••

والحروب الطويلة المدى اي الحروب التحررية تعتمد دائما على الفلاحين والزراعة والارض اذ ان الفلاحين هم رافد الجيش المقاتل ، والانتاج الزراعي هو عصب المواد التموينية • وهذا الامر يتطلب اعفاء الفلاحين من الضرائب • تنشيط التسليف التعاوني ـ تقوية الجمعيات التعاونية • اقامة جمعيات ارشاد زراعي الخ •• ما هناك من اجراءات) •

وعلى هذا المسار يمكننا بصدق ايجاد اقتصاديات حرب ومواجهة احتمال خوض حروب تحريرية طويلة المدى •• وعلى مدى فهمنا لطبيعة تلك الامور نكون صادقين مع انفسنا وقضيتنا وقادرين على صهر جماهيرنا في اتون المعركة وغربلتها واخراجها سبيكة جيدة المعدن والشكل •

الفصل الثالث عشر

غلق قناة السويس والضغط الاقتصادي على دول العدوان

الامور بدلائلها

عندما اكد اشكول ان حدود اسرائيل مع الجمهورية العربية المتحدة تمتد عبر قناة السويس الى بورسعيد وبور فوءاد .. فانه يقصد ما يعني أو يقول.. ذلك ان العدو يعيش بعقلية الفاتحين والغزاة والبرابرة . ويعمل بدأب من اجل توسيع الرقعة الاقليمية التي سيطر عليها بعد الخامس من حزيران فقد دللت جميع التجارب القريبة والبعيدة ان العدو الاسرائيلي يسير وفقا لمخططات عالمية تعاونت في حبكها الامبريالية والصهيونية العالمية منذ قرن ونصف قرن ، فاسرائيل بنيت على شكل ترسانة ـ سلاح للغرب وأمريكا بالذات ، ورأس حربة موجهة ضد الشعب العربي ، وعلى وجه التخصيص خلقت اسرائيل من اجل السيطرة على الممرات المائية ذات الاهمية الستراتيجية والاقتصادية كقناة السويس وخليج العقبة ومضايق تيران . فالمزايا الستراتيجية في أرض فلسطين جعلت اسرائيل في ـ قلب ـ الوطن العربي وعلى مشارف ثغوره ومنافذه المائية والبحرية فاسرائيل قريبة من القناة وقريبة من ابار البترول في السعودية . وقريبة من انابيب

بترول العراق والسعودية التي تمر عبر سوريا ولبنان •

◆ التوسع الاسرائيلي اذن يستهدف ايجاد عملية (اختناق) اقتصادي للدول العربية المجاورة لاسرائيل • وهو في ذات الوقت عمليـة (انفتاح) اقتصادى أمام اسرائيل • فآبار البترول الموجودة في سيناء تنتج قرابة ٦ ملايين طن بترول سنويا علما بان استهلاك اسرائيل هو ٣ ملايين طن سنويا • وهذا يعني توفـر ٣ ملايين في ألاكثر للتصدير اضافة الى ان البترول المنتج من الحقول العربية في سيناء سيشغل معامل تكرير البترول الاسرائيلية ويوفر العمل للبطالة اليهود في اسرائيل ويساهم في تخفيف العبء عن ـ الكيبوتزات ـ الزراعية هناك عن طريق تهجير اليد الصناعية والزراعية الى الصناعة البترولية العربية المسيطر عليها •• كذلك تساهم عملية السيطرة على الآبار العربية في سيناء ـ توفير ـ العملات الصعبة واستيراد البضائع والآلات الصناعية لتقوية اقتصاديات العدو وتنشيط الشركات العالمية والمحلية المختصـة بمد انابيب المياه وانابيب النفط الى الشركات العاملة في سيناء والجيش الاسرائيلي المرابط هناك •

◆ هي اذن عملية عكسية بالنسبة للعرب وطردية بالنسبة للعدو الاسرائيلي • كما انها في ذات الوقت تحقيق لاحلام اصحاب الرساميل الامريكية في استثمار الثروات العربية البترولية وغير البترولية دونما خوف من الحكومات التقدمية او من حركة التحرر الوطني والقومي عموما •• ولقد ذكر هرتزل مرة : ان فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لا تنبع من ضمير الصهاينة ، فحسب وانما تنبع ايضا من الضمير الاوربي والغربي بوجه عام» كما ذكر أحد الصهاينة الامريكان

ان انشاء اسرائيل ليس وليد الطموح اليهودي ، فهو تعبير عن مصالح الامبريالية الاميركية العالمية ونشاطاتها المالية والتجارية والاستثمارية، وقال هرتزل ايضا : نحن نمثل الحضارة ضد البربرية ، والطموح ضد الركود . وأكد موءرخو الصهيونية بان اقامة اسرائيل يقصد منه ايجاد (ديدبان) تحركه الاحتكارات الغربية والاميركية من اجل استغلال ثروات الشرق الاوسط .

◆ يتضح من ذلك ان عملية العدوان التي وقعت على الامة العربية في الخامس من حزيران تحركها عوامل اقتصادية واستغلالية مثلما تحركها العوامل العنصرية والسياسية المعادية لحركة التحرر الوطني العربي والثورة العربية ، فالغرب قد ادرك منذ اوائل القرن التاسع عشر بل منذ بداية العهد الاحتلالى وعمليات الغزو الاستعماري ان اقامة قاعدة ستراتيجية في فلسطين تهيمن على منافذ الصلة بين اقطار الوطن العربي الافريقية وأقطاره الاسيوية . وتكون عامل اقلاق وعامل تخريب وهدم فتمارس تحدياتها المتواصلة من أجل كبح تطلعات الامة العربية التي ستتوحد عاجلا أم اجلا .. تجهض ثوراتها وانتفاضاتها وتجعلها تلتفت الى الوراء خوفا من هجوم العدو المتربص بها فلا تنطلق الى الامام .

◆ فمشكلة فلسطين لهذا وبسببه خلقتها المصالح الاستعمارية . والان وبعد ان سببت ثورة التحرر الوطني والقومي الكثير من المتاعب للاستعمار القديم والجديد. وانطلقت الثورة التقدمية العربية الى القضايا الاجتماعية لتجعل من المسائل الطبقية مرتكز اعمالها معتمدة على القوى الجديدة : العمال والفلاحين والبورجوازية الوطنية وفصائل المثقفين

التقدميين • وبعد ان وصل الصراع العربي الاسرائيلي نقطة التفجير وحانت ساعة الحسم ولحظة الصدام فأخذ العرب المبادأة ـ رغم التناقضات السياسية والطبقية ـ والخلافات والصراعات • ورغم الصدام بين هذه التناقضات والصراعات •• باشر الاستعمار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية حربا شبه عالمية ضد العرب ساهمت فيها أضخم الة تكنيكية حربية واسطول جوي كثيف يفوق طاقة العدو بعشرات المرات حتى المرتزقة ساهموا بالمعركة بعد ان تستروا خلف القاب الخبراء الاجانب •

لماذا قناة السويس

وعندما قبل العرب وقف اطلاق النار • وعندما ابلغت حكومة الجمهورية العربية المتحدة سفراء الدول البحرية في القاهرة ان الملاحة في قناة السويس لن تستأنف الا بعد ازالة اثار العدوان الاسرائيلي ـ الامريكي • كان ذلك يعني ان موعد استئناف الملاحة لا علاقة له باعادة تعويم السفن التي غرقت في مياه القناة •• ومنذ ذلك الوقت بدأت السفن التجارية والسياحية وناقلات النفط والقطع الحربية تبحر حول الرجاء الصالح أي مسافة خمسة الاف ميل تقريبا • ونتيجة لذلك اعلنت الاجراءات التالية :

أولا ـ زيادة الرسوم على البضائع المشحونة من والى أوربا بنسبة ٤٠ بالمائة تقريبا •

ثانيا ـ زيادة اجور السفر بحرا من أوربا الى الشرق الاقصى واستراليا واليابان والهند وشرقي افريقيا بنسبة الثلث •

ثالثا ـ زيادة رسوم التأمين على السفن والبضائع والاشخاص بنسبة ٢٥ بالمائة .

رابعا ـ استئجار حاملات النفط أكثر من ٤٠ حاملة لنقل النفط من الخليج العربي الى اوربا الغربية حول افريقيا .

◆ وتمر في قناة السويس يوميا ما بين ٦٠ و٧٥ باخرة نقل النفط والمطاط والصوف والجوت والشاي وعشرات المنتجات الاسيوية الاخرى الى اوربا .. ويمر في القناة اكثر من ٧٥ بالمائة من النفط العربي الذي يصدر الى الدول الاوربية .

الضغط الاقتصادي بواسطة اقفال قناة السويس

◆ ونظرا لهذا الدور الذي تلعبه قناة السويس في حركة التجارة العالمية يعتبر استمرار اقفالها امضى سلاح بيد العرب ضد الدول التي تواطئت مع اسرائيل في عدوان الخامس من حزيران . فخلال اسبوعين فقط من اغلاق القناة اضطرت ٨٤٠ سفينة الى الدوران حول افريقيا بدلا من المرور في القناة .

ومن البديهي ان يؤدي ذلك الى زيادة اسعار المواد الاولية وبعض انواع المواد الغذائية والنفط في اسواق أوربا .. كما انه من البديهي ان ترتفع اسعار المواد التي تصدرها اوربا الى الهند والشرق الاقصى واستراليا . وهذا يعطي اليابان فرصة ذهبية لمنافسة المنتوجات الاوربية باسعار متدنية .

وبذلك تفيد اليابان من اغلاق القناة دون ان تدفع ثمنا بالمقابل . وأقل ما يمكن ان تدفعه ان تؤيد الحق العربي في الامم المتحدة . اذ انه من المعروف ان هناك الكثير من رؤوس الاموال الامريكية موظفة

في شركات يابانية كما ان هناك مصاهرة واتفاقيات بين أصحاب الرساميل اليابانيين والامريكان • وهناك شركات مختلطة مثل شركة جنرال الكتريك التي تنتج راديوات وتلفزيونات وثلاجات ومراوح وكافة لوازم الحياة الحديثة شركة جنرال سيرخس •

اما من حيث النفط فان اليابان لم تتأثر بأغلاق القناة لان ما تستورده من النفط العربي ومقداره ٨٥ مليون طن سنويا يصدر من الخليج العربي رأسا دون ان يحتاج للمرور عبر قناة السويس •• والمعروف ان اميركا ضغطت على اليابان اثناء ازمة انقطاع النفط العربي عن الغرب •• لتزويد القوات الاميركية المقاتلة في فيتنام بكمية تعادل ٢٠ مليون طن اذ ان القوات المذكورة تستهلك سنويا ٤٠ مليون طن من النفط يجيء اغلبه من المنطقة العربية وخاصة منطقة الخليج •

انقطاع المورد المالي للقناة أثر في اقتصاديات المتحدة

◆ وقد أدركت الجمهورية العربية المتحدة انها سوف تخسر دخلا مهما من النقد النادر بسبب اغلاق القناة •• ولذلك عمدت الى وضع خطة اقتصادية جديدة بصفة استثنائية للتغلب على الصعوبات المالية التي يمكن ان تترتب على ذلك، وكان دخل الجمهورية العربية المتحدة من القناة في العام الماضى ١٩٦٦ قد بلغ ٢١٠ مليون دولار •• واذا استمر اغلاق القناة ستة أشهر ـ وقد استمر ـ كما حدث في عام ١٩٥٦ ابان العدوان الثلاثي فان ذلك يعني انها سوف تخسر ١٠٥ ملايين دولار •

◆ ان هذه العائدات المرتفعة تدل على أهمية القناة ليس فقط بالنسبة لاقتصاديات الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن بالنسبة للدول التي تدفع هذه العائدات ، وخاصة بريطانيا وامريكا الدولتين المشتركتين

بالعدوان مع اسرائيل على الامة العربية .. واغلاق القناة يؤثر على ميزان المدفوعات البريطاني ويؤثر كذلك على شركات النقل وأسعار البضائع ، فهو أولا يكبد هذه الشركات خسائر فادحة تقارب ٢٠٠ مليون دولار شهريا ويدفع المستهلك في آسيا العربية ودول الشرق الاوسط والدول الافريقية الى الابتعاد عن البضائع الغربية البريطانية والامريكية وبخاصة لارتفاع أسعارها وبطء وصولها وهذا يسبب رواج البضائع الفرنسية والصينية واليابانية .

وخسائر الشركات المذكورة يؤثر بدوره في ميزان المدفوعات لان انخفاض المبيعات يؤدي الى انخفاض في التحصيل الضريبي ، وانخفاض في الانتاج وبالتالي هبوط سعر الجنيه الاسترليني والدولار الامريكي ، وقد سجلت الحكومة البريطانية عدة انخفاضات للجنيه الاسترليني ، واختفت الثقة بالدولار الى حد ما ، أي ان اغلاق القناة أثر بشكل ملموس على اقتصاديات دول الغرب المشتركة مع اسرائيل في عدوان الخامس من حزيران .

محاولات تدويل القناة مؤامرة استعمارية

ومن ذلك يتبين انه بعد احدى عشر سنة من حرب السويس التي قامت على اثر تأميم القناة ، يبرز دورها اليوم ، في مقاومة دول العدوان الثلاثي في عام ١٩٦٧ والضغط عليها اقتصاديا ، وكأنه خير دور عالمي يمكن ان يقوم به العرب ، وخير سلاح سياسي واقتصادي يمكن ان يلجأوا اليه عندما تدعو الحاجة وتقتضي الظروف المصيرية في لحظات الصدام مع القوى الامبريالية العالمية والعدو الصهيوني الذي يحتل الارض العربية .

◆ والقناة التي تربط شريان الحياة الاقتصادية بين مختلف القارات ، كانت ولا تزال منذ زمن فتحها في نهاية القرن الماضي وحتى اليوم ، منذ سفك فيها ديلسبس دماء مئات العرب المصريين واستباح انتهاك الحق الانساني باستغلال الطاقات العربية العاملة الى أقصى حدود الاستغلال ، الى عصرنا هذا ، هاجس الدول الاستعمارية الكبرى ، قد حل في موازينهم الاقتصادية وبرامج المدفوعات وحسابات الخسائر والارباح .

◆ ولم يكن من الغريب اذن ان يحدث تأميم القناة عام ١٩٥٦ أزمة عالمية ، فعلى أثر التأميم في ٢٧ تموز من نفس العام ، واحتجاج الحكومتين الفرنسية والبريطانية ضد هذا الاجراء من قبل القاهرة : اتخذت الخزينة البريطانية تدبيرين :

الاول تجميد ممتلكات شركة السويس .

والثاني تجميد الممتلكات المصرية في بريطانيا ، وحسب الارقام التي نشرت بعد ذلك بواسطة بنك مصر الوطني ، فان رصيد الحسابات المصرية في بريطانيا بلغ في ٣٠ آب ١٩٥٦ مليون جنيه مصري .

◆ وفي ٣١ تموز اتخذت وزارة المالية الاميركية تدبيرا مماثلا ، فجمدت ممتلكات شركة القناة وممتلكات الحكومة المصرية ، ولكن مع اعلانها بأن هذا التدبير هو فقط لحماية المصالح الاميركية ، وقد كانت الحكومة الاميركية صادقة اذ ان الاستعماريين الاميركان والانكليز يتصرفون طبقا للعوامل المادية والاقتصادية المحركة لهم .

◆ وفي عام ١٩٥٨ علم بأن المبالغ التى احتجزت في الولايات المتحدة بلغت حوالى ١٥ مليون جنيه مصري .

وبعد هذه الاجراءات دارت في لنـدن محادثات بين حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وقر رأي هذه الحكومات على اقامة نظام دولى للقناة ، يضمن الحقوق الدولية التى نصت عليها اتفاقيـة عام ١٨٨٨ مع الاحتفاظ بحقوق مصر الشرعية ، وطبعا يعنى هـذا الامر فيما يعنيه ضمان سيطرة الدول الاستعمارية الكبرى على القناة . وعقد مؤتمر في لندن بعد ذلك ، اشتركت فيه كل الدول التي وقعت عام ١٨٨٨ على الاتفاقية المعروفة .

السماح لاسرائيل في المرور بقناة السويس

◆ وتوالت بعد ذلك المؤتمرات والمفاوضات الثنائية والثلاثية .. وتم اللجوء الى الامم المتحدة ، فأبلغ مجلس الامن في ٢٣ ايلول بواسطة فرنسا وانكلترا بموضوع التأميم ، فأقر المجلس بالاجماع في ١٣ تشرين الاول ١٩٥٦ حلا بست نقاط ، ينص ضمن ما ينص على احترام سيادة مصر عليها ، وعلى حرمان أي بلد أجنبي كان من التدخل في سياسة القناة ، وكان هذا القرار جزءاً من الحـل الكامل للازمة .

ولكـن اصرار الحكومتين البريطانيـة والفرنسية على الاخـذ بمقررات مؤتمر لندن كتتمة للحل ، وهي المقررات التي تنص على ضرورة الاشراف دوليـا على القنـاة ، حمل الاتحـاد السوفياتي على استعمال حق الفيتو .. وبينما كان الامين العام للامم المتحدة داغ همرشولد يحاول نقل النقاش الى الجمعية العمومية أو اللجوء الى حل خارج مقررات مؤتمر لندن ، كانت القوات الانكليزية والفرنسية

والاسرائيلية تباشر عملية اشتباك واسع مع القوات العربية في سيناء وبورسعيد •

◆ وانتهى العدوان في ٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ ، على أثر طلب الجمعية العمومية للامم المتحدة التي اجتمعت بصورة استثنائية •

◆ واجليت آخر القوات الانكلو ـ فرنسية عن بورسعيد في ٢٢ كانون الاول ١٩٥٦ وفي أواسط نيسان ١٩٥٧ تم اصلاح القناة ، وفي ٢٤ منه اعلمت مصر الامين العام للامم المتحدة بأن القناة أصبحت مؤهلة للملاحة ، وابلغتـه القرار الذي اعتمدته •• اعتبارا لقرار مجلس الامن المتخـذ في ١٣ تشـرين الثاني ١٩٥٦ ، ونص قرار الحكومة العربية المصرية على ما يلي :

١ ـ تتعهد مصر بالمحافظة على نصوص اتفاقية ١٨٨٨ وتأمين حرية المرور في قناة السويس • على أن يكون حق المنع لاي دولة من حقوق السيادة المصرية •

٢ ـ ادارة القناة تعود الى السلطة المصرية وهي السلطة التي مارست حقوقها على القناة يوم ٢٦ تموز ١٩٥٦ عند التأميم كما ان رسوم الترانزيت تدفع لها •

٣ ـ تدفع سلطة القناة ٢٥ بالمائة من الارباح الصافية الى صندوق خاص لتجهيز القناة وتطويرها •

٤ ـ المسائل المتعلقة بالتعويض والمطالبات الناتجة عن التأميـم تحل بواسطة اتفاقيات بين الاطراف •• أو بواسطة التحكيم •

٥ ـ الخلافات الناشئة عن اتفاقية ١٨٨٨ أو عن القرار الحالي تحل استنادا الى ميثاق الامم المتحدة أو أمام محكمة العدل الدولية •

وفي ١٩ شباط ١٩٥٨ بدأت مفاوضات التعويض في روما .

◆ وهكذا سيطرت الارادة العربية التقدمية على أهم مورد اقتصادي في مصر . وبهذا نرى التأثير الفعال الذي يحدثه استعمال أحد الاسلحة العربية ضد الدول التي تعاضد العدوان او التي تتخذ مواقف غير منسجمة مع الحقوق والمصالح العربية ..

◆ لكن الدول الاستعمارية وقد أدركت النتائج العظيمة الخطورة على اقتصادياتها بسبب غلق قناة السويس .. تحاول دفع اسرائيل - كلب حراستها - الى فتح القناة بالقوة . ومن هنا دلالة الاستفزازات العسكرية العدوانية ضد القوات العربية والاعتداءات المتكررة على منطقة السويس فاسرائيل - أميركا - تريد توسيع انتصاراتها المؤقتة واستغلالها الى ابعد الحدود . وتريد خنق الاقتصاديات العربية المصرية عن طريق تدويل القناة أو التحكم بها . وفوق ذلك حرمان الجمهورية العربية المتحدة من أهم مورد اقتصادي تعتمد عليه الكثير من مشاريع التنمية الاقتصادية واذلالها عسكريا واقتصاديا . وتقف وراء هذه الاعتداءات العسكرية الدوائر المالية في لندن وواشنطن وهولندا وبلجيكا والدول الاستعمارية الاخرى .

◆ الا ان الارادة العربية التقدمية مدركة ان الصمود هو طريق الانتصار وان ارادة الشعب العربي فوق ارادة المستعمرين . ولذلك فهي تدعم مهام البناء الاجتماعي وتعزز الوحدة الوطنية والقومية وتقوى أواصر الصلة مع البلدان الصديقة . وتنجز مهمة بناء قواتها المسلحة وبناء نفسيات قواها العاملة والكادحة بالايديولوجية العلمية صانعة الوعي السليم وذلك هو طريق النصر .. طريق الشعوب .

الفصل الرابع عشر

هل أدت المقاطعة الاقتصادية العربية لدول العدوان دورها ؟

رغم انه قد اتخذ قرار استئناف ضخ النفط الى اوربا وامريكا في مؤتمر القمة الذي عقد بعد نكسة حزيران، فان هذا الفصل يظل يكتسب أهمية كبرى لما فيه من حقائق دامغة وقضايا أساسية ..

عندما كانت المقاطعة شاملة

بسبب وقف ضخ البترول العربي الى اوربا الغربية ـ باستثناء فرنسا ـ صدر اعلانان من بريطانيا وامريكا .. الاعلان البريطاني يقول ان الحكومة قررت زيادة أسعار البنزين وسائر مشتقاته بمعدل بنسين للغالون الواحد .. وبعد شهر من صدور هذا الاعلان قررت الحكومة البريطانية رفع أسعار البترول وسائر مشتقاته بمعدل بنسين أيضا ، أما الاعلان الاميركي فيعلن عن اقامة جسر نفطي طارىء بين الولايات المتحدة الامريكية واوربا الغربية .. لمواجهة النقص المتزايد نتيجة الحرب العربية الاسرائيلية واغلاق قناة السويس » .

◆ وقد اعترفت بريطانيا ان الزيادة المطردة في أسعار البترول لها ما يبررها نظرا لارتفاع نفقات الشحن بسبب غلق قناة السويس الذي يسبب لشركات الشحن والشركات البترولية خسارة شهرية

تقدر بـ ٢٠٠ مليون دولار . كذلك اعترفت اميركا بان اوربا تواجه نقصا في البترول له ابعاده الخطيرة ، وهذه اولى نتائج المقاطعة البترولية لاوربا الغربية ودول العدوان بالذات ومنع ارسال النفط العربي لها من جميع البلاد العربية .. وطبعا اذا استمرت هذه المقاطعة لمدة ستة أشهر أو سنة أخرى فستكون النتائج بالغة الخطورة على الغرب الذي يستهلك في اليوم قرابة ٨ر٥٠٠ر٠٠٠ برميل منها ٥ر٥٧٠ر٠٠٠ برميل من الوطن العربي وهذا يعني ان اعتماد اوربا الغربية على البترول العربي يكاد يكون تاما ، أما باقي المصادر فلا تستطيع امداد اوربا الغربية باحتياجاتها لاسباب خارجة عن ارادتها » .

◆ ففنزويلا وهي أكبر دولة مصـــدرة للبترول في العالـم لا تستطيع انتاج أكثر من ١٠٠٠٠ برميل يوميا زيادة عما ترسله الى أوربا في الوقت الحاضر وهذا تقرير واقعي وحقيقي على اساس ان فنزويلا لم تكن تمنح امتيازات جديدة في السنوات العشر الماضية ، اي ان انتاجها لم يزد الى الحدود التي تجعل اوربا الغربية تستغني عن النفط العربي . اما المصدر الثاني الذي يمكن ان يصدر البترول لاوربا الغربية فهـــو نيجيريا في غرب افريقيا وهـــذه تنتج يوميا ٣٨٣ر٠٠٠ برميل في اليوم يصدر معظمه الى اوربا الغربية .. ونظرا للاضطرابات السائدة هناك ومحاولة الانفصال التي يقوم بها الاقليم الشرقي عن البلاد والذي تقع فيه حقول البترول فان من المشكوك فيه ان تقدم نيجيريا اية مساعدة لاوربا الغربية بل على العكس فان مظعم المصادر تعتقد بانه ربما كان للاضطرابات أثر على استمرار تدفق البترول بنسبته الحالية من نيجيريا الى غرب اوربا .

يبقى لدى الغرب والدول التي اشتركت في العدوان على الامة العربية مصدر ثالث هو ايران .. وترى الدوائر الاقتصادية العالمية ان المصدر الثالث سينتهز هذه الفرصة لزيادة نسبة عائداته البترولية عن طريق تنشيط ضخ النفط الى اوربا الغربيـــة .. الا انه من المشكوك فيه ان تتمكن ايران مهما حاولت ان تزيد انتاجها في المدى القصير الا بمقدار ١٠ بالمائة حيث ان القاعدة التي تبعتها شركـات البترول هي الاحتفاظ بطاقة احتياطية في الانتاج تبلغ ١٠ بالمائة من الانتاج اليومي وهذا يعني ان ايران تستطيع تزويد اوربا الغربية بحوالي ٢٥٠ ـ ٣٠٠ برميل في اليوم » .

◆ اما بالنسبة للمصدر الرابع الذي هو الاتحاد السوفياتي الذي يصدر الان لاوربا الغربية ٦٩٤٫٠٠٠ برميل في اليوم فانه من المستبعد ان يقوم السوفيات بزيادة انتاجهم وتوريد كميات كبيرة من البترول الى دول العدوان بسبب موقفهم السياسي من ازمة الشرق الاوسط والتزامهم جانب الحق العربي .. الا ان هناك رأيا يقول ان العلاقات والمصالح الدولية الاقتصادية تتخطى دائما المواقف السياسية وتهـزأ بها باستمرار !.. ولذلك فان السوفيات سوف ينتهزون فرصة ايقاف تدفق البترول العربي الى أوربا الغربية لزيادة مبيعاتهم ، على ان ما يدحض هذا الرأي ان الحكومة السوفياتية اعلنت اكثر من مرة بأنها لن (تنتهز) هذه الفرصة وتحاول ان تحل بترولها محل البترول العربي والسيطرة على اسواقه ، وبالرغم من هذه التصريحات فان الاتحاد السوفياتي حتى ولو حاول زيادة انتاجيته البترولية فلن يكون ذلك باستطاعته لان كل الدلائل تشير الى ارتفاع كلفة الانتاج في

الاتحاد السوفياتي وعدم وجود فائض في الانتاج وفي وسائل التكرير.

اضافة الى كون الاتحاد السوفياتي يربط البترول باستراتيجيته العسكرية والسياسية فيقصر بيع بتروله الى اوربا الشرقية ، وهذه الاخيرة للاسباب نفسها تشتري البترول السوفياتي بأسعار عالية في بعض الحالات اكثر من ٣ دولارات للبرميل بينما يضطر الاتحاد اذا باع خارج منطقة حلف وارشو والبلاد الاشتراكية الى منافسة الشركات وبالتالي تخفيض اسعار بتروله ، وهكذا نجد الاتحاد لا يستطيع تزويد اوربا الغربية باحتياجاتها البترولية كاملة ، وفي الوقت ذاته نجد حاجة اوربا الغربية للبترول العربي تشتد يوما بعد يوم ولقد اعترفت دول العدوان الذي وقع على الامة العربية في الخامس من حزيران ١٩٦٧ انها تعاني نقصا فوريا للبترول العربي .

ويجب ان لا يغيب عن بالنا ان النفط العربي يغطي ٤٥ بالمائة من احتياجات العالم وهو بالنسبة لاوربا الغربية يؤمن اكثر من ٦٩ بالمائة من احتياجاتها وبالنسبة لليابان أكثر من ٥٥ بالمائة وحتى بالنسبة لامريكا يؤمن ٥ بالمائة اضافة الا ان القوات الاميركية في الفيتنام تستهلك ٤٠ مليون برميل سنويا من النفط العربي . اما بريطانيا فأنها تستورد ٥٠ مليون طن من النفط العربي في العام اى اكثر من ٦٥ بالمائة من احتياجاتها . وعلى ضوء هذه الحقائق يطرح امامنا سؤال مهم هو : ما هي نتائج قطع النفط عن أميركا وبريطانيا .

حساب الخسارة القريبة وحساب الخسارة الطويلة المدى

بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية لا يعني قطع النفط العربي أي نقص خطير في احتياطاتها البترولية أو استهلاكها اليومي لا تستطيع

امره • فقد استطاعت الابار المنتجة في امريكا زيادة انتاجها بصورة استثنائية وهو بالطبع من الاحتياطات الرسوبية على المدى البعيد • كما زادت فنزويلا انتاجها بشكل تحاول فيه سد النقص المترتب عن توقف تصدير النفط العربي للسوق الاميركي •

وتستطيع اميركا بامكانياتها الاقتصادية الكبيرة تحمل النفقات الاضافية للاستيراد من فنزويلا التي تعادل ٥٠ سنتا اميركيا للبرميل الواحد ، كما ان باستطاعتها ان تتحمل نفقات شحن احتياجات القوات الامريكية في الفيتنام • وقد حشدت لذلك اسطولا خاصا من شاحنات النفط ذات الغاطس العميق يزيد عدده على خمسين سفينة •

« غير ان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتحمل توقف أرباح الشركات الاميركية التي تستثمر النفط العربي • وهي ارباح لا يمكن تحديدها بالضبط الا انه يمكن معرفة اهميتها من خلال الارقام التالية :

◆ ان الشركات التي تستثمر وتستغل النفط العربي (الامريكية والبريطانية) تتولى في وقت واحد جميع عمليات الانتاج والتسويق والتكرير والتصنيع البتروكيماوي ، وبرميل النفط الذي تدفع الشركة ثمنه للدول العربية المنتجة ٧٥ سنتا فقط يباع في الاسواق العالمية بـ ١١ دولار ونصف الدولار ، واذا كان مجموع عائدات الدول العربية من الـ ٧٥ سنتا تبلغ في العام حوالي ٢٥٠٠ مليون دولار فماذا تكون ارباح الشركات • بل ماذا تكون ارباح الحكومات الاوربية والحكومية الاميركية التي تفرض ضريبة على كل برميل من النفط العربي تبلغ ٢٥٠ سنتا اي أكثر اربع مرات ونصف المرة تقريبا من عائدات الدول العربية صاحبة النفط ؟• »

◆ اما بالنسبة للبريطانيين فان قطع النفط عن انكلترا يعني امورا كثيرة غاية في الاهمية والخطورة • فبريطانيا تستورد في العام ٥٠ مليون طن من البترول العربي وهي الان بمقتضى المقاطعة الاقتصادية العربية مضطرة لزيادة اعتمادها على المصدرين الذين ذكرناهما انفا وهما : ايران وفنزويلا وامريكا الشمالية غير ان النفط الايراني الذي تملك بريطانيا ٤٠ بالمائة من اسهم شركاته يصل اليها بائمان مرتفعة نتيجة لغلق قناة السويس واضطراره الان للدوران حول افريقيا ورأس الرجاء الصالح ـ أي مسافة ٤ الاف ميل زيادة مما يعني وقتا اطول ورسوما كمركية أكثر اضافة الى الزيادة في اقيام الشحن والتأمين والصيانة والتفريغ وما شابه •

◆ اما النفط الفنزويلي فان بريطانيا تملك ١٠ بالمائة من اسهم الشركات الرئيسية العاملة هناك ويتطلب شحنه ٨٢ سنتا على كل برميل زيادة عن سعر برميل البترول العربي •

◆ فالبرميل العربي يكلف ـ واصلا الى لندن ـ ١٣٨٫٥٠ سنتا • أما البرميل الفنزويلي فيكلف ٢٢٩٫٥٠ سنتا وبسبب ذلك اضطرت الحكومة البريطانية الى زيادة سعر الغالون الواحد ٤ بنسات • على ان مشكلة الاستيراد من فنزويلا لا تعني فقط زيادة في التكاليف • ففنزويلا لاتستطيع أن تؤمن لاوربا الغربية أكثر من نصف احتياجاتها للاسباب الانتاجية والاستخراجية التي شرحناها في مقدمة البحث ـ أي حوالي مليونين ونصف المليون برميل شهريا • هذا بالاضافة الى وجود خصائص رديئة في البترول الفنزويلي ألا وهي وجود نسبة عالية من الكبريت والتي يسبب احتراقها تلوثا ساما في الهواء

يشكل خطرا شديدا على الحياة والصحة العامة • كذلك فان نسبة الكبريت المذكورة تعطل عملية الاحتراق في السيارات والمحركات الآلية الاخرى وتسبب تراكم الدخان وانسداد الانابيب التي يخرج منها العادم •

هل تستطيع دول العدوان الاستغناء عن البترول العربي ؟

وهكذا نجد ان خطورة قطع النفط العربي لا تقتصر على النواحي المادية والاقتصادية بالنسبة لاوروبا الغربية وخاصة بريطانيا والمانيا الغربية ، وحدها بل على النواحي الستراتيجية والعسكرية •

◆ فبريطانيا اضطرت الى استهلاك مخزونها الاحتياطي الذي تحتفظ به لحالات الطوارىء والحروب العسكرية الدولية ، فمنذ أزمة قناة السويس عام ٩٥٦ وما واجهته بريطانيا وسائر الدول الاوربية الاخرى من صعوبات نتيجة غلق قناة السويس ونسف الانابيب في سوريا •• عمدت هذه الدول الى الاحتفاظ باحتياطي من النفط للاعمال العسكرية يكفي للاستهلاك لمدة أربعة أشهر كما يقول خبير النفط البروفسور اديلمان •

◆ ومن المتوقع في حال استمرار قطع النفط العربي في الفترة الراهنة عن بريطانيا أن تضطر الحكومة الانكليزية الى تقنين استعمال النفط كما في عام ١٩٥٦ •• وفي هذه الحالة تستطيع أن تعيش على مخزونها الاحتياطي مدة ستة أشهر على أبعد تقدير •• وهذا ما يفسر منطقية وثورية الاقتراح الجزائري الذي أكد على ضرورة قطع النفط العربي عن بريطانيا وأمريكا مدة سنة كاملة ، واغلاق

قناة السويس حتى تزول آثار العدوان بالسلم أو الحرب .

◆ ولقد حاولت أوربا الغربية وبريطانيا والمانيا الغربية بالذات التقليل من خطورة هذا الوضع وحاولت الرد بالتهديد بالانصراف عن النفط العربي والبحث عن مصادر اخرى والاعتماد على المصادر النيجيرية ، فاذا علمنا ان نيجيريا ذات طاقة انتاجية محدودة لاتتعدى الـ ٢٥٠ أو الـ ٣٠٠ ألف برميل في اليوم كما ذكرنا في مقدمة هذه السطور أدركنا سخف التهديد البريطاني الذي لم يقتصر على ذلك بل أكد ان بريطانيا سوف تحاول البحث أيضا عن مصادر أخرى للطاقة غير النفط كالفحم والغاز والطاقة الذرية النووية » .

◆ غير ان مصادر النفط الاخرى ليست متوفرة بكميات كبيرة ، اضافة الى ان تكاليف الشحن تفوق احتمالات بريطانيا ، فالطن الواحد من النفط العربي يكلف ٤ جنيهات استرلينية في لندن، بينما تبلغ تكاليف النفط الامريكي ٩ جنيهات استرلينية ، وذلك حسب دراسة بريطانية رسمية ..

أما المصادر الاخرى التي تريد أو تتوهم بريطانيا انها تريد استخدامها كطاقة بدل النفط العربي فهي :

أولا ـ الفحم

وتبلغ تكاليف استخراجه من مناجم بريطانيا ذاتها .. أكثر من تكاليف النفط العربي .. كما ان الانتقال من النفط الى الفحم يعني تحويلا غير ممكن في أجهزة المصانع والمعامل البريطانية وبالتالي استحالة استخدام الفحم كطاقة ..

ثانيا ـ الغاز

وتوجد كميات كبيرة منه في بحر الشمال في بريطانيا نفسها ، غير ان الكميات المنتجة لا تكفي لسد الاحتياجات البريطانية حتى الان بدليل استيراد بريطانيا كميات كبيرة من غاز الجزائر ، وقد قطعت الجزائر الغاز عن بريطانيا بعد العدوان الانكلوأمريكي ـ الاسرائيلي على الامة العربية ، واستعمال الغـــاز بدل البنزين يقتضي تحويلا نوعيا في الصناعة البريطانية وهـذا يحتاج الى فترة لا تقل عن ١٠ سنوات الامر الذي يكشف استحالة استخدام الغـاز بدل البترول في القريب العاجل .

ثالثا ـ الطاقة النووية

هذه الاخيرة لا يزال من غـير الممكن انتاجهـا على مستوى تجاري ، كما انها لا تزال هدفا لابحاث وتجارب متواصلة لا يعتقد انها يمكن أن تنتهي بعد نصف جيل على الاقل منذ الوقت الحاضر).

◆ وهكذا فان بريطانيا مضطرة للاعتماد على النفط العربي الى أمد طويل .

وليست قادرة على الاستغناء عنه . وكل ادعاء يصدر منهـــا عكس ذلك ليس الا مجرد تهويل لا يعني في الحقيقة الا مواصـلة الحرب النفسية ضد العرب واستغلال ضعف القوى المهادنة والرجعية. فالنفط العربي ليس أرخص وأسهل وأحسن نفط في العالم يمكن لاوربا الاعتماد عليـــه وحسب . بل لان معظمه مملوك لشركات أوربية غربيـة وأمريكية . وهو يدر ربحا على الخزينة الانكليزية والاميركية والشركات الاحتكارية يصل الى حدود المبالغ الخيالية في

كل عام • تبلغ على أقل تقدير أربع مرات ونصف المرة أكثر مما تحصل عليه البلاد العربية صاحبة النفط مجتمعة) •

القوة الضاغطة وتنشيط شركات النفط الوطنية

من هذا نرى ان البترول العربي قوة ـ ضاغطة ـ بأيدي العرب ولن يعطي النتائج المرجوة بتأديب دول العدوان الثلاثي الاخير اذا لم يستمر ايقاف النفط العربي لمدة سنة أو ستة أشهر على الاقل •ومع ذلك تظل هذه المسألة خطوة أولى • أما الخطوة الثانية التي يستطيع العرب اللجوء اليها للضغط كلية على دول العدوان فهي تنشيط شركات النفط الوطنية • وانتزاع الاراضى الممنوحة لها بموجب القوانين والاتفاقيات المجحفة التي عقدت مع حكومات عربية رجعية في أوقات الاحتلال وما شابه ودفع الشركات الوطنية المذكورة الى استغلال الحقول المكتشفة وتصدير النفط العربي وبيعه بسعر الكلفة او بالمقايضة السلعية في البداية • ثم بالسعر العالمى عند ايجاد الاسواق العالمية • وتنشيط الشركات الوطنية لن يكون بمعزل عن انشاء صناعة بترولية متكاملة على المدى الطويل تساهم بتصنيع البلاد العربية وانشاء صناعات بتروكيماوية ومعامل تكرير واستخراج • وهذا طبعا لن يكون الا بوجود ادارة ثورية عازمة •

وهناك خطوة ثالثة في طريق ـ الضغط ـ على دول العدوان•• الا وهي المساهمة في اسهم الشركات التي تستغل النفط العربي بنسبة ٢٥ بالمائة على الاقل والسيطرة على كميات الغاز التي تحرقها الشركات دونما سبب •و اخضاع الكميات المنتجة للضريبة كذلك اخضاع الات ومعدات الشركات المستوردة والتي تستورد للتعريفة

الكمركية • ومحاولة تأميم اسهم الشركات البترولية التابعة للدول الاستعمارية التي اعتدت على الامة العربية عن طريق شراء الاسهم في احسن الفروض او تأميمها في الظروف الحرجة • او اعطائها الى شركات منافسة او التي ليست داخلة ضمن الاحتكارات الغربية البترولية • كالشركات الفرنسية وبعض الشركات اليابانية والايطالية ـ وليست كلها ـ التي توصلت معها بعض البلدان المنتجة للنفط الى اتفاقيات تحصل بموجبها حكومات تلك البلدان على ٨٩ وحتى ٩٠ بالمائة من العائدات مثل الاتفاقية التي عقدت بين شركة ايراب الفرنسية واحدى بلدان الشرق الاوسط المنتجة للنفط •

واستخدام العائدات المترتبة على ذلك في تسليح الجيوش العربية بالة حربية متطورة وسلاح طيران كثيف وتشكيل قوة بحرية كبيرة وشراء غواصات ومدمرات للجيش العربي الموحد •• واقامة صندوق انماء موحد لانعاش اقتصاديات البلاد العربية من العائدات المذكورة وتطوير امكانيات الامة العربية الصناعية واقامة صناعة استخراجية متطورة للبترول والمعادن والفوسفات) •

◆ وتبلغ الحصص البريطانية والاميركية في النفط العربي أكثر من ٨٦ر٥ بالمائة من مجموع الامتيازات وخاصة في نفط الخليج والجنوب العربي والمملكة السعودية •• ان هذه الحصص تدر في العام قرابة ٢٥٠٠ مليون دولار كارباح صافية ـ باستثناء ارباح الشحن والتأمين والكمارك التي تحصل عليها دول اوروبا واميريكا•

◆ والامة العربية مدعوة الى محاسبة نفسها في هذا الظرف التاريخي العصيب ووضع خطة بعيدة المدى من اجل السيطرة على

البترول العربي عن طريق الاشراف على عمليات الانتاج والضخ واحلال المهندسين والفنيين العرب في العمليات الاستخراجية والانتاجية محل مهندسى الشركات فعمليات الانتاج روتينية بالنسبة للمهندسين العرب كذلك عمليات التخزين والضخ والتنقيب والتصفية .. ولقد نجح المهندسون العرب في الشركة المصرية للبترول بالتعاون مع فني البلدان الصديقة كيوغسلافيا وغيرها.. ان كل ماتقوله الشركات عن الصعوبات الفنية غير وارد بالنسبة للبلاد العربية التي فيها مهندسون وخبراء كثار وتكفي تجربة تأميم قناة السويس دليلا على ذلك.

ان الشركات التي تستغل نفطنا سوف تعرض خدماتها علينا اذا سيطرنا على النفط لانها بحاجة اليه . وهناك استحالة في مقاطعه بلادها لنا كلية للاسباب المذكورة انفا .. لقد نجحت عدة تجارب في عمليات السيطرة من قبل البلاد المنتجة للنفط فحكومة المكسيك سيطرت على صناعة النفط ولم يكن في بلادها مهندس واحد ، ومع ذلك استطاعت تسيير صناعة النفط بمساعدة العمال الفنيين فقط حتى تيسرت لها الفرصة بجلب خبراء من الدول الصديقة .. وموقفنا الفني والتاريخي والسياسي افضل عشرات بل مئات المرات من موقف حكومة المكسيك عام ١٩٣٨ . والغرب بكل نشاطه الحضاري والتكنولوجي بحاجة الى نفطنا ولهذا فلا خوف من التأميم .

الباب الخامس

آفاق الغد

الفصل الخامس عشر

احتمالات الصدام مع العدو

اسئلة تبحث عن جواب

ان التساؤل الذى ترددده مصادر سياسية عديدة : ماهى احتمالات الصدام المقبل بين العرب واسرائيل ، بعد ان استطاع العدوان الثلاثي الاخير تحقيق انتصارات مؤقتة للعدو تمكنه من احتلال مواقع استراتيجية هامة ، والتوسع في رقعته الجغرافية ..

◆ ولقد كان هذا التساؤل مطروحا منذ أمد بعيد الا از الذي استجد فيه ان خيوط المؤامرة ذات الشكل والاسلوب الجديد التى حيكت في الولايات المتحدة الامريكية مكنت اسرائيل من ان تفرض على العرب مكان وزمان المعركة في وقت لا يجد العرب فيه انفسهم الا في موقف دفاعي سلبي ..

طبيعة المعركة

ولقد اختارت الولايات المتحدة الامريكية استراتيجية الضربة الخاطفة لكى تتمكن اسرائيل من التحرك على ثلاث جبهات بواسطة التفوق الكبير في السلاح الجوى . وحقيقة اولية نضعها دائما في اعتبارنا .. الا وهى انامريكا تعمل بموجب مقولة ان اسرائيل وجدت لتبقى .. اذن المسألة هى نظرية البقاء من جانب اسرائيل ومن اوجدها ونتيجة لذلك لم تكن اسرائيل تستعد لتدافع عن نفسها . بل لتهاجم.

وتقوم بالعدوان على الدول العربية وهي في موقف دفاعي سلبي ضعيف نتيجة لظروف التجزئة والصراعات والمتناقضات التي تعج بها الامة العربية •

ولقد استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٥٢ عند قيام ثورة تموز في مصر • ومعها بدأت اولى معالم جديدة على الطريق تسعى الى تحديد مواقع القوة العربية والانطلاق الى تحرير فلسطين • وقد شهدت المنطقة العربية تحولات اجتماعية وسياسية في الفترة المحصورة منذ ذلك الحين وحتى الان ، واستطاعت الجيوش العربية تسليح نفسها وانبثقت حكومات عربية معادية للاستعمار •

عندئذ أدرك الاستعمار واسرائيل ان اصوات الدمى قد اخرست وان مقدرات البلاد العربية اخذت تعود شيئا فشيئا الى اصحابها الشرعيين • تلك المقدرات التى كانت تحت سيطرة الاستعمار سياسيا واقتصاديا •

وهكذا تحددت علامات الطريق الثورى منذ صفقة الاسلحة العربية الجيكية • وبعدئذ كان بناء القوة الضاربة في الجمهورية العربية المتحدة والتصنيع •• وبناء السد العالى •• أما بالنسبة للبلاد العربية الاخرى فقد كانت معالم الطريق ذاتها تنعكس في هذا القطر أو ذاك ولكن بتفاوت كمي لا يصل الى حدود الكيف •• وكان هذا شيئا جديدا لم يتصوره الاستعمار واسرائيل او يضعانه في حسابهما • بيد ان ابعاد المعركة فرضت على الامبريالية العالمية تحويل اسرائيل الى ترسانة سلاح كبيرة ، ومن أجل التصدى الى تطورات التاريخ في المنطقة العربية وضعت عدة مؤامرات منذ مشروع ايزنهاور حتى الان كان نصيبها جميعا الفشل •

أهداف المؤامرة الثلاثية الاخيرة

الا ان الفترة الاخيرة شهدت تصعيدا جديدا لقضية الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، بواسطة الحشود الاسرائيلية على سوريا وبعدئذ أزمة خليج العقبة • ولان الاستعمار ثعلبي الاسلوب والتفكير ووحشى الطبيعة والجوهر لجأت اسرائيل وامريكا وبريطانيا الى وسيلة جديدة في العدوان تختلف من حيث الشكل عن عدوان ١٩٥٦ الثلاثى على مصر • وهذه الوسيلة المبتدعة والتمويهية في ذات الوقت مكنت اسرائيل من تحقيق توسعات عدوانية وبالتالى تحقيق أهداف الامبريالية الامريكية في الشرق الاوسط ••

واهداف المؤامرة الثلاثية الجديدة تهدف الى :

اولا : تحطيم القوة المصرية العربية الضاربة •

ثانيا : تقويض الثورة السياسية والاجتماعية للامة العربية •

ثالثا : الاستيلاء على سيناء والضفة الغربية من الاردن لتحقيق مايسمى في اسرائيل ـفلسطين التاريخيةـ • وبالتالي تحقيق المرحلة الثانية من خطة الصهيونية العالمية في السيطرة على الارض العربية كلها •

رابعا : فرض الصلح على العرب من مركز القوة بعد انهيار القوة الاولى في المنطقة •

ولقد كان نجاح المؤامرة الثلاثية الاخيرة مدعاة نشوة للاستعماريين الامريكان حتى ان جونسون راكب الليموزين المنتشى اقام حفلة راقصة في مزرعته الصيفية • الا ان نشوة جونسون سرعان ما اصطدمت بحقائق التاريخ ومنطق الظروف والاحداث ورأى بأم

عينه الرد العربى على التحدى الامريكى •

من هنا كانت لهفة امريكا لاستكشاف آفاق المستقبل لمعرفة احتمالات الصدام الحتمى بينها وبين العرب الذين ادركوا ان اسرائيل ولاية أمريكية في آسيا •• واقع لامحال • وتفيد الانباء الموثوق بها ان مستشاري الرئيس جونسون قلقون جدا بالنسبة للمصالح الامريكية في الشرق الاوسط وخاصة المصالح البترولية •

كما انهم يدركون ان النكسة الجديدة ستفجر لدى العرب امكانيات التماسك والصمود في عملية تنازع البقاء بينهم وبين اسرائيل والى جانب هذه الحقائق فان عملية الغزو البشرى للارض العربية المدعمة بالقوة وبغيرها من وسائل الاستعمار الذى يريد اقامة تركيب بشرى غريب في جسم الامة العربية •• التماسك والصمود الذي يبعث فيها امكانيات الوجود والحضارة •• عملية الغزو تلك ستحول الجنس العربى الى عاصفة على العصر ربما يكون حتف الحضارة الغربية على يديه •

◆ فليس من (واقع) في التاريخ أكثر (تحديا) لمنطق الطبيعة والحياة والتاريخ ، واكثر تناقضا من منطق الاشياء ، والجماهير وارادتها من اغتصاب فلسطين ومحاولة ابتلاع الاقطار العربية الاخرى •• والتسليم بالامر الواقع سواء كان خضوعا للقوة او الاغتصاب او الاستغلال •• يتعارض انسانيا ومصيريا واخلاقيا مع أعمق النوازع الانسانية والقومية في الانسان العربى •• ويتناقض كذلك علميا وموضوعيا وتاريخيا مع اوليات الثورية والتقدمية والاشتراكية ومعاداة الاستعمار • •

بين الستراتيجية والتكتيك

هكذا اذن نرى ان احتمالات الصدام حتمية بيننا وبين اسرائيل قاعدة امريكا في قلب وطننا العربى .. واحتمالات الصدام بعد الضربة الخاطفة التى حقق فيها الاستعمار قسما من اهدافه تحتمها طبيعة اسرائيل العدوانية وقد يكون الصدام هذه المرة مباشرة مع امريكا .. ولن تكون المعركة المقبلة معركة دفاع كما أرادها العدو لنا في الخامس من حزيران بل لابد ان تكون معركة هجوم وكل ما يتعين عليها ايجاده هو قوة حربية مكثفة وتحشيد كامل لطاقاتنا الاقتصادية وتجنيد شامل لامكانياتنا المادية والفكرية وهذا يحتم علينا بالضرورة اختيار استراتيجية الضربة الخاطفة والستراتيجية البعيدة المدى وحتى الستراتيجية النووية .. فلقد اختار العدو استراتيجيته مكانا وزمانا واستعمل فكرة الحرب الوقائية المنطلقة منا ضده .. استعملها ضدنا عن طريق حرب مركزة وضربات سريعة عنيفة ومن الواضح ان خطته الاخيرة كان من الممكن ان تتحول الى طريق انتحارى لو كانت مواقعنا ذات خصائص هجومية الا ان مواقع الدفاع مكنته من الانتصار السريع سيما وان الطيران المكثف الذى أمده به اصدقاؤه في ظل الاوضاع الدولية الراهنة كان هو العامل الفيصل في المعركة .. واذا نحن درسنا احتمالات الصدام المقبلة بعمق فسنرى ان المعركة ابتدأت من الآن على جميع الجوانب الاقتصادية والفكرية والسياسية .. والتخطيط العلمى السريع والبعيد المدى يحتم النصر المطلق والساحق ولا نملك بعدها جولة اخيرة ونهائية .

الفصل السادس عشر

احتمالات الصدام المقبل مع العدو وفلسفة تصعيد الحرب الاميركية

◆ التكامل بين أداة الحرب الاسرائيلية وبين أداة الحرب الاميركية ـ البريطانية ـ يؤكد بصورة قاطعة وحاسمة ان اسرائيل ليست قاعدة اميركية من نوع (جديد) و (فريد) في الشرق الاوسط ، وانما هى (نبتة) اميركية ـ غرست على طريقة غزو الاوربيين لبـــلاد الهنود الحمر ..

◆ اذا كانت هناك ثمة مفاجأة في حرب الايام الستة بيننا وبين اسرائيل ، فهى التكامل (الكلى القدرة) بين امريكا واسرائيل ، ولذلك نحن لا نحارب اسرائيل فاسرائيل هى أمريكا في الشرق العربى ..

النذر تلوح في الافق

بعدما تأكدت الولايات المتحدة الامريكية ان نتائج حرب الايام الستة او الحرب الخاطفة التى شنتها اسرائيل القاعـدة الامريكية ـ الغربية ـ البحتة ، لم تسقط النظم التقدمية العربيـة ، ولم تؤد الى نسف واقع حركة القومية العربية من الاساس .. ولم تنهر نتيجـة لذلك معنويات الشعب العربى . عادت الى مخططاتهـا التـى سـبقت العدوان بأعوام آملة ابراز ـ محور جديد ـ من بعض الدول العربية

المرتبطة اقتصادياتها ونظمها بالاحتكارات النفطية .

وهكذا بدأنا نسمع عن نغمة : انه لم يثبت عمليا اشتراك امريكا وبريطانيا مع اسرائيل في عدوانها الاخير ، ولذلك يجب على العرب ضخ النفط الى الدول المذكورة الخ .. وبدأنا نسمع الاصوات المنكرة التى ارتفعت سابقا منادية بالصلح مع اسرائيل ترتفع من جديد قائلة : ان العرب لا يريدون حل مشاكلهم مع اسرائيل بالطرق الايجابية .. والطرق الايجابية في عرف هؤلاء هي : المفاوضات مع اسرائيل !!..

وابعد من ذلك فلقد بلغت الجرأة والوقاحة ـ بالبعض الى حد القول بأن انكسار القوات العربية في سيناء فرصة لشن حرب على القوات العربية الموجودة في اليمن ـ قبل انسحابها ـ .. كل هذا يقال ضمن المخطط الامريكي القديم ـ الجديد الذي يمتد منذ عهد الرئيس جون كنيدي حتى الان ، بل أبعد من ذلك منذ رئاسة ايزنهاور وترومان .

من حافة الهاوية الى الرد المرن

في عهد ايزنهاور كانت سياسة ـ حافة الهاوية ـ التى يتبعها دالس تؤكد بانه يجب الهجوم على ـ العالم الثالث ـ والحكومات المحايدة .. وتقوم هذه السياسة على مقولة بأن جميع الدول في العالم يجب ان تكون تابعة للولايات المتحدة والا فانها معادية لها . ولذلك تعتبرها الولايات المتحدة عدوة لها وتشن عليها حربا لا هوادة فيها . وفي عهد الرئيس كندى . هذبت هذه السياسة الى حد كبير واتبعت ـ الرد المرن ـ أي الرد الاقتصادى والعسكرى المحدود وأرادت الانتلجانسيا التكنوقراطية المستنيرة التى سيطرت على الشؤون السياسية في البيت

الابيض الوصول بالسياسة الامريكية الى حدود معقولة الا ان اغتيال كندى اوقف هذه المحاولات • وتذكر بعض المصادر ان اغتيال جون كندى جـــاء على أيـدي الاحتكارات الامبريالية كذلـك للصهيونيـة يد في الامر •

المعادلة الصعبة

وفي الانتخابات التى جرت لاختيار رئيس جديـــد للولايات المتحدة استطاعت الاحتكارات ابراز معادلة صعبة : غولد ووتر صاحب فكرة : الرد النووى الشامل ضد جونسون الذي يبدو أزاء الاول متعقلا وهكذا كانت اللعبة ـ متقنة ـ وفاز الرجل المتزن ـ كذا ـ وخسر الرجل ـ الهستيرى ـ وهذه اللعبة تشبه لعبة المجنون الاخـــرق ، والمجنون الاعتيادى ، عندما عرضا على احد الاشخاص المتأثر بهما ، وقيل له ايهما تفضل ، قال افضل الثانى لانه اهون الشرين ، وهكذا قفز جونسون الى كرسى الرئاسة فنفـذ السياسة الغولدووترية بدون غولد ووتر ، واستأنف سياسة دلاس ، بل وضعها في التطبيق عـلى اسوأ الصور واشدها وحشية وقسوة •

النكسات والكوارث

ومنظرو السياسة الامريكية الجديدة يؤكدون انها تبدأ مـــن الضغط الاقتصادى الى التامر والتخريب والانقلابات المسلحة مـــن الداخل • الى اثارة الحروب والمنازعات المحلية وبعث مشاكل الحدود والاضطرابات • واخيرا العدوان المسلح الذي تتعدد صوره من مكان الى اخر • ومنذ اواخر عام ١٩٦٤ والخطة الامريكية لغـزو العـالم تستشرى وتمتد من منطقة الى اخرى • وقد تمكنت الولايات المتحدة

قائدة الثورة المضادة في العالم من انزال الكارثة بكل من اندونيسيا وغانا باعمال التآمر الداخلي واحداث ٩ انقلابات مسلحة في دول افريقية حديثة الاستقلال • كذلك تمكنت من ممارسة اسلوب الضغط الاقتصادي على دول كثيرة ، كما اثارت ازمات الحدود بين الصومال والحبشة وبين الاخيرة والسودان ودفعت مناطق كثيرة في الهند الى الاضطرابات الطائفية والتمزق الاقليمي والاصطدامات والفوضى • وتمكنت من النزول بدور الكثير من الدول الاسيوية المحايدة في المضمار الدولي والهبوط بمكانتها درجات كثيرة وخطيرة •

هيئة الامم المتحدة ـ غير المتحدة ـ

وحيث ترى الولايات المتحدة ان اساليب الضغط الاقتصادي والتآمر الداخلي والتخريب غير مجدية تعلن عن نواياها وتلجأ الى العدوان المسلح المباشر كما حدث في كوبا والدومينكان والفيتنام والكونغو • وعلى البلاد العربية اخيرا • وقد بلغت الوقاحة بساسة البيت الابيض حدا جعلتهم ينسفون الوجود المعنوي للامم المتحدة ويتبجحون انهم عندما يضغطون على الهيئة الدولية فانما يمارسون حقيقة ـ السلام الامريكي ـ على العالم • كذلك بلغت الصفاقة بالامريكيين الى حد جعلهم يصورون الحرب التي شنتها اسرائيل وامريكا وبريطانيا •• بانها حرب وقائية لصيانة السلام •• وراجوا يتحدثون علنا عن قرب اسقاط النظم العربية الثورية والغاء الوجود العربي •

رؤوس المثلث المضطرب

ومنذ أوائل نيسان الماضي وضعت وزارة الخارجية الامريكية

ووكالة الاستخبارات المركزية خطة عاجلة خاصة بالشرق الاوسط لما اسمته بالمثلث المضطرب ـ وقد تحدثنا كثيرا في احاديثنا السابقة عن هذه الخطة التى حددت رؤوس المثلث بطهران شرقا والدارالبيضاء غربا ومقديشو جنوبا •

وموجز الخطة هو الاطاحة بالحكومات التقدمية التى لا تسير في خط التبعية الاميركية • وقد كونت لجنة من وزارة الخارجية الامريكية والاستخبارات المركزية خاصة ـ بالمثلث المضطرب ـ سميت اللجنة الخاصة لمتابعة العمل اليومى لوضع الخطة موضع التطبيق ••

ماذا تريد امريكا ؟

وقد صاحب وضع نظرية المثلث المضطرب وقوع انقلاب رجعى في اليونان ـ ثبت أخيرا أن لانقلاب اليونان علاقة بعدوان اسرائيل في حزيران ـ واشتداد حرب المرتزقة والرجعيين ضد الجمهورية اليمنية ، وبروز محاولات انقلابية يمينية في اكثر من بلد عربى تقدمى كما برزت أزمة النفط مع سوريا والعراق •• كذلك اعتمدت النظرية على الامكانيات الذاتية لاسرائيل عن طريق تنشيط طيرانها واسلحتها المدرعة بواسطة المتطوعين الامريكان والكنديين • وحشدت القوات الاسرائيلية على سوريا في ٧ نيسان ١٩٦٧ أكثر من خمس فرق مدرعة واعقب ذلك الحديث عن صدام عسكري واسع هدفه تأديب سوريا •

ولا جدال فان اهداف الخطة الامريكية هى تصفية الثورةالعربية وتثبيت كيان اسرائيل بعد توسيعه • ولقد اختارت المخابراتالامريكية انسب الظروف لملاقاة الرد العربى الشامل المنتظر الذى كاد ان يقع

على أيدى القوات العربية المصرية . فلكى لا يمر الوقت ولكى لاتصل القوات العربية جميعها الى الجبهة . ومن أجل التضليل ، عمدت امريكا الى شن هجومها على الامة العربية في ٥ حزيران الماضى ، بواسطة اسرائيل .

ولقد كان الغزاة يرون ان تدخلهم سيكون في ظروف اخرى ، اما وقد تصاعدت الاحداث وفعلت الاجراءات التى اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة في الاسابيع الثلاثة التى سبقت العدوان ، فعل السحر في الشعب العربى ، فجسدت طاقاته وامكانياته وقلبت المبادرة العربية الخطط الامريكية رأسا على عقب فاذا تدخلهم يجيء بصورة اخرى مفاجأة .

كانت الخطة في البداية ايجاد صدامات مسلحة بين البلاد العربية واسرائيل . ثم التدخل بحجة حماية المصالح الامريكية.فاذا بها تنقلب وتتحول الى شكل جديد . كان العدوان يقصد منه التدخل بواسطة الانشقاق الحاصل بين البلاد العربية فاذا بالعدوان يكون ضد الاجماع العربى .

لقد استقطبت قيادة الثورة العربية في القاهرة الجماهير العربية وانتزعت كافة مبادرات المستعمرين والمتواطئين معهم . وبذلك خلقت الظروف المواتية للمعركة .. الا ان الاميركيين بقدر ما كانوا يتعجلون المعركة كانوا يمارسون التضليل وقد عرف شعبنا الكيفية التى مورس بها ذلك التضليل .

وتاتي بعدئذ المعركة العسكرية

في المعركة العسكرية التى بدأت في الخامس من حزيران

واستمرت ستة ايام ، انتهت الجولة لصالح العدو ـ موقتا ـ العدو الاسرائيلي الذى تسترت خلفه بريطانيا بخبث وخسة ونفاق وامريكا بلؤم ووقاحة الاهوج والمهوس • وقد قبل الجانب العربى ايقاف اطلاق النار ريثما تنجلى غيوم الازمة•ونستطيع ان نتبين بعض الحقائق التي يتعين علينا فهمها لكيما نكون على استعداد لاحتمالات المستقبل •

الحقيقة الاولى :

اننا يجب أن نتمتع بورح معنوية عالية وتزيل حساسيتنا الخاصة التي نستهين بها بالعدو • فالمعركة قبل كل شيء لا تزال مستمرة • وهى ان كانت معركة شاملة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدبلوماسية والعسكرية ، الا ان طابعها العسكرى هو الغالب • وفي مثل هذه الحالة يجب ان ندرك ان العدو استطاع تحشيد قوات كبيرة جدا • ورغم ذلك كنا نتناول موضوع الصدام بيننا وبينه بروح الاستخفاف والاستهانة الامر الذى ولد لدينا سايكولوجية ـ الغرور ـ ولقد استغل العدو هذه الظاهرة وملأ الجو بالشائعات بعد ايقاف اطلاق النار ، وراح يشكك في قدرة العرب على الرد وتصفية آثار العدوان والانتقام العادل •

الحقيقة الثانية

استطاع الامريكان النيل من معنوياتنا بواسطة استغلال التناقضات التي تعج بها الساحة العربية وراح يركز على الامكانات الذاتية للامة العربية وعدم قدرة العرب على استغلالها ، وهذا ما يوجب عليهم ـ منطقيا ـ الخضوع للتبعية الامريكية وبالتالى الاستسلام للعدو ـ كذا ـ وقد كان ردنا على ذلك فيه شئ من الايجابية الا ان الذى

نؤكده هنا هو توفير المناخ السليم لاستغلال الامكانيات الذاتية العربية في الوقت الراهن وبأسرع الاحوال • وطبعا المناخ السياسى والاقتصادى والجماهيرى هو المناخ الصالح الذى ندبر فيه مسؤوليتنا الذاتية في جميع المضامير •

لحقيقة الثالثة

والشىء المهم الذى يجب ان نعيه هو الثقة بقواتنا العربية الباسلة التى خاضت اشرف معركة مصيرية • ومع ثقتنا الكاملة بها • فيجب ان ندرك ان جيوشا لبلاد نامية لم تستكمل تحشداتها ولم توجد لديها خطط موحدة اضافة الى مواقعها الهجومية المكشوفة • وضعت فجأة في مواقف دفاعية • وأمام هجوم غادر وحرب شبه عالمية اشتركت فيها أضخم آلة تكنيكية حربية في الدول الغربية الكبرى •

◆ وقد يبدو هذا تحصيل حاصل ، الا ان الذي نؤكده ان وعى هذه الامور بعلم ودراية وبصيرة هى الشىء الاساس في ارتفاع رصيد معنوياتنا في مواجهة احتمالات المستقبل • أما الآن ، فقد بقيت لدينا مسألة •

تصعيد الحرب

التي أخذت تلوح بالافق • وقد يبدو كلاما معادا اذا قلت ان اسرائيل قاعدة اميركية • وان اعلان اميركا عن نيتها بتزويد اسرائيل بطائرات سكاي هوك وفانتوم – ٤٨ – طائرة – ٥٠ – طائرة على التوالي واعلان بريطانيا عن امدادها اسرائيل بجميع احتياجاتها من المعدات والدبابات هو البداية في تصعيد الحرب اذ اننا لا نشك لحظة أن الغزاة الامريكان يريدون من

وراء التصعيد احراز انتصارات جديدة لقاعدتهم اسرائيل • ذلك لان الضربة الاولى لم تحقق أهداف العدوان في تدمير وانهاء الثورة العربية كلية ولابد أن تعقبها ضربات اخرى • وهذا ما يفصح عنه الاميركيون بنظرية الحرب المحدودة التي تقول : عندما تنجح الضربة الاولى ويكون رد الفعل العالمي ضعيفا باشر الضربة الثانية فالثالثة الخ •• ولذلك نستطيع كما يقول الجنرال ماكسويل تايلور : تحقيق السيطرة الاميركية على العالم بدون صدام دولى شامل •• فالحروب الصغيرة أو سلسلة الحروب المحلية تهدف الى اسقاط الحكومات الوطنية والتقدمية في العالم الثالث الواحدة بعد الاخرى لصالح أمريكا ولا مانع بعدئذ من الانقضاض على أطراف من المعسكر الاشتراكي وبعد ذلك يأتي دور البلدان الاشتراكية في أوربا الشرقية بعد ان تكون قد حوصرت وانعزلت ، (وهذا بالضبط ماحدث بعد سنة من نكسة حزيران) ـ الملاحظة التي كتبت بعد احداث أوروبا الشرقية ـ •

تلك هي نظرية الحرب المحدودة التى وضعها المنظر ستانلى والجنرال ماكسويل تايلر رئيس الاركان الاميركي السابق !

◆ واذا كنا قد وعينا من العدوان الاخير حقائق كثيرة الا اننا نعى أيضا ان :

العمل الحاسم

في احراز اسرائيل انتصارها الموقت هو التكامل العسكري بينها وبين كل من بريطانيا وأمريكا • وهو الشىء الجديد فى العدوان الاخير •

◆ في عام ١٩٥٦ لم يكن الامر كذلك لانه كانت ثمة ثلاثة أجهزة عسكرية للعدو فرنسية وبريطانية واسرائيلية أما الآن فالعدو يمتلك جهازا واحدا مؤخرته في الولايات المتحدة ، وانكلترا والمانيا الغربية ومقدمته أو قاعدته في اسرائيل .

◆ في عام ١٩٥٦ كان التنسيق هو أساس الخطة أما في عام ١٩٦٧ فان التكامل هو أساس الخطة التي أحكمت خيوطها بين أداة الحرب الاميركية ـ البريطانية ، وأداة الحرب الاسرائيلية ، واذا كانت هناك ثمة مفاجأة في الامر فهى هذه ، أما لماذا وجه العدو الينا الضربة الاولى .. فهذا لانه كان متوقعا ذلك ، الا أن ملابسات الامور أضاعت علينا ادراك ان أداة الحرب الاسرائيلية هي أداة الحرب الاميركية ، غير ان الاستراتيجية العامة لحروب التحرير تجابه فلسفة تصعيد الحرب وتكامل أدوات الحرب الاستعمارية ، بمعارك النفس الطويل وارادة الصمود ، ودون ريب فصمودنا سيكون من أسباب قوتنا الذاتية واحراز النصر ..

الفصل السابع عشر
آفاق الغد ومستقبل المعركة

التوازن اللامعقول والاشداق الشرهة

اذا قلنا أن الولايات المتحدة أصبحت نقمة على العرب بالذات والعالم الثالث أيضا فاننا انما نؤكد حقيقة موضوعية • فالولايات في مدها الكوكبى ـ الفت أن تضع تفكيرها الاهوج فوق كل شيء من أجل السيطرة والاستعمار • وهى الآن تضع مسألة : تصفية العالم الثالث موضع اهتمامها • فالولايات المتحدة التى وصلت الى درجة كبيرة من القوة ومن غرور العظمة بل ومن جنون الطموح • تحولت الى ـ لعنة ـ حقيقية ـ على الشعوب فهى ناهبة الثروات • ومحدثة الانقلابات • وباذرة بذور الفتن والقلاقل • وحروب الحدود ، والتجزئة انها ـ العقار المخدر ـ الذي أصاب العالم فأفقده التوازن وأدى به الى نتيجتين لا ثالث لهما وهما تضخم هائل الى حدود معجزة أضر بخلايا جسم العالم واصابه بمرض ـ العضلات الكبيرة ـ والكرش الضخم ـ والعقل المجنون ـ وهل حياة الولايات المتحدة غير هذه ؟ فلقد تضخمت قوة الولايات الى حد أصبحت تشكل خطرا على الجنس البشري كله • ولقد أصاب المفكر رودنسون عندما قال : ان التضخم الامريكي ليس طبيعيا فهو يشبه الى حد كبير تضخم المريض بفعل اضطراب الغدة الدرقية ـ أما

نحن فنقول ان الولايات بحاجة الى من يعالج غدتها الدرقية التى أصابت عقلها السياسى بالخبل والهوس ـ أما النتيجة فهى كون العالم الثالث ميدان لعب لتلك القوة المتضخمة • والعالم الثالث كثير الثروات الا انه ضعيف البنية بسبب كونه متخلفا ومستعمرا الى وقت قريب » •

الشركة غير المحدودة للاحتكارات

ولقد أدت النتيجة الاولى الى جعل نمو الولايات المتحدة نموا شاذا • فهى منذ مبدأ مونرو الذي عزل أمريكا اللاتينية عن العالم• أخذت تشعر بنموها اللا متوازن • ونتيجة لذلك راحت تتخطى المحيط الى اقارات الاخرى • فغدا جنينها ، مبدأ مونرو ـ وصفة جاهزة تطبق في جميع أنحاء العالم غير الشيوعي • وفضلا عن هذا فان الولايات المتحدة تمثل الفاشية الجديدة خير تمثيل • فعدا انها وصلت الى مرحلة الامبريالية اخر مراحل الاستعمار • فان امبرياليتها ورثت الاستعمار البريطاني القديم • وأساليب الفاشية النازية • وفوق كل ذلك استعمرت الرأسماليات المنتحية عن القيادة الاستعمارية في العالم الاوربي • ومن هنا تأتى حكمة ديغول الذى أكد ان على اوربا أن تحرر نفسها من الاستعمار الامريكى الحالى ـ ان الولايات المتحدة هي استعمار وارث تركة احتوت الليبرالية البورجوازية والدكتاتورية النازية •• والنظام الاستعماري الامريكي يمثل شركة غير محدودة بين الاحتكارات الرأسمالية بكافة فصائلها والدوائر العسكرية المغامرة فيها •• ان هناك تعهدا بين تجار المال وتجار الاسلحة • بين امراء الحروب وموردى آلات الحرب

وتلك هي الفاشية بشكلها التاريخي وما نعرف تعريفا للفاشية غير هذا .

رمتني بدائها وانسلت

ومن السخرية حقا أن نجد الولايات تتهم قيادة الثورة العربية بنفس الادواء المصابة بها .. فنراها ترفع عقيرتها قائلة بأن العرب يسعون الى تكوين امبراطورية واسعة شاسعة من المحيط الى الخليج تشكل خطرا على السلم العالمى وانهم يسعون الى اقامة نظم نازية مبنية على الحديد والدم . ومن أجل هذا الامر وبسببه يبشرون بأبادة اسرائيل . أي ابادة الحضارة الغربية ـ الامريكية فى الشرق الاوسط . وان القومية العربية تعنى قبل كل شىء تنحية الاجناس الاخرى وابادتها . ولذلك تسعى القاهرة ويسعى عبد الناصر الى ـ ضم ـ وتشدد هنا على كلمة ـ ضم ـ البلاد العربية بالقوة الى امبراطوريته المنتظرة. ومن المؤسف أن نجد الكثير من العرب الرجعيين والمارقين يرددون هذه الدعاية الاميركية ، وأكثر من ذلك فقد انطلى أمر هذه الدعاية المسمومة حتى على ـ بعض المثقفين ـ فى فترات متعاقبة ـ ورددده البعض ـ بخبث ـ وسوء نية واستعمله غيرهم لاغراض سياسية ـ آنية وغير آنية ـ واخرون بشروا به كأنه تكتيك سياسى يستفيدون منه الى أبعد الحدود . ومثل هذه الدعاية الكاذبة والمفترية . تكون وحقيقية وصادقة اذا قيلت عن اسرائيل التي ورثت الارث النازى وعن امها الكبرى أمريكا وعلى حد تعبير مجلة ديرشبيكل ان جونسون هو تكبير اوسع لهتلر والامريكان هم

الوندال • أما ديان فهو مصغر الصورة الجونسونية الهتلرية • أو انه ايتلا وبن غوريون هو روزمبرغ اسرائيل •

الاستاذ والتلميذ

ان ديان هو تلميذ جونسون واسرائيل هي الدولة العنصرية في الشرق الاوسط واذا كانت النازية قد أقامت عنصريتها في أرضها وبلادها فان اسرائيل تقيم عنصريتها في أرض غريبة •• بقى شيء اخر نقوله : اذاكانت الغزوات البربرية تنطلق من الشرق في التاريخ السحيق فاننا الآن نرى الغرب يصدر الهون على شكل جنود مظلات ومرتزقة ومدرعات وطائرات كثيفة ويرسل التتار على شكل قنابل نابالم محرقة وقنابل بكتريولوجية جرثومية •

◆ وينبثق من هذا حقيقة خطيرة هي ان معركتنا القادمة ليست مع اسرائيل وانما مع أمريكا • اسرائيل مقدمة لامريكا وصدام العرب معها ليس صدام هذا الاقليم أو هذا القطر العربي أو ذاك •• وانما معركة العرب جميعهم معركة العالم الثالث • معركة المعسكر الاشتراكي ذاته • ان العرب عندما يلتحمون في معركة مع اسرائيل – أمريكا – فانما يدافعون عن مواقع ستراتيجية مهمة على حدود المعسكر الاشتراكي وهي موجودة في ذات الوقت في قلب العالم الثالث • ومن هنا مبلغ أهمية تلاحم النضال مع شعوب العالم الثالث وبلدان المعسكر الاشتراكي • فصدامنا مع اسرائيل ليس صداما كتليا وانما هو صدام وجود وحرية • لذلك نجد أن الشعوب المحبة للحرية والسلام تدافع عن نفسها عندما تعضد العرب ويقع على المعسكر الاشتراكي عبء المسؤولية الكبرى •

بين مسألتين

« ويتضح من ذلك سخف القول الذي يدعي اننا يجب أن لا ننتظر أكثر مما قدمه لنا المعسكر الاشتراكى • فالاعتماد على النفس يوفر لنا التكامل في كل شيء ؟ لكننا نؤكد ان الاعتماد على النفس لا يعنى الانقطاع والتحجر والانكفاء الذاتى • فالمعركة هي معركتنا قبل كل شيء وليس هناك من يعوضنا عنها سلبا أو ايجابا الا اننا يجب أن نوطد علاقاتنا بأصدقائنا الى أقصى الحدود ويجب أن نشعر اولئك الاصدقاء بأنهم يدافعون عن أنفسهم ضد الخطر الامريكي ـ بواسطتنا ـ نحن نخوض المعركة مباشرة وهم يخوضونها بطريقة غير مباشرة » •

ماذا عن مستقبل المعركة ؟

الى هنا وحديثنا لا زال يستعرض معطيات الوضع الراهن وبعض أحداث الماضى القريب • ولكن ماذا عن مستقبل المعركة ؟•• لا شك اننا خرجنا بهزيمة موقتة • ولقد تفاوتت ردود الفعل العربية أزاء ذلك • فهناك رد فعل ساذج يأخذ الامر ـ بكآبة النكسة ـ اذا صح التعبير ، فيرى انه من الضرورى تعويض النكسة العسكرية بنصر سياسى على مستوى عالمى •• ولقد دللت وقائع هيئة الامم المتحدة على سذاجة هذا الرأي فالامم المتحدة ليست الا منصة خطابة ومكان استعراض كلامي •• الامم المتحدة ليست نافعة لا سلبا ولا ايجابا • فكم ادينت اسرائيل فيها • ولم تنفذ الاخيرة •• اذن السلب والايجاب سيان في الهيئة الدولية •

فطالما رعاة البقر لا يروضون أبقارهم فانها تظل فى جموحها

ولن تهدأ الا اذا عقرت وذبحت بعدئذ .. أما رد الفعل الثاني فيرى خوض الحرب الان وليس غدا مع اسرائيل يعوض النكسة العسكرية التي أصابتنا . ـ فلابد من استكمال القدرة العسكرية وتمكن العرب من القوة ـ وفي هذا الرأي الكثير من الحماسة والانفعال . وبين هذا وذاك يقع رأينا الذى نطرحه هنا :

لقد فوت النضال العربي والانتفاضة الشعبية الجبارة التي عمت الوطن العربي كله في يومى ٩ـ١٠ حزيران الفرصة على أمريكا ولم تسقط النظم التقدمية . وكانت تلقائية الجماهير أقوى من العوامل المنظمة . وقد فشل العدوان في تحقيق أغراضه . وكانت تلك النقطة بداية انطلاقة ثورية عربية جديدة . والواقع ان تلك الانتفاضة كانت عملية تمخض شعبى أنجبت ـ مولدا ـ عظيما استطاع دحر الثورة المضادة في النيل وانتزع جميع مبادراتها الفورية . وجدد شباب الثورة العربية . وكان ذلك كسبا سياسيا عظيما توحدت فيه ارادة الامة العربية وضربت فيه النزعات الاقليمية التي أرادت استغلال النكسة واحداث ردات اقليمية ورجعية بقيادة البورجوازية وفصائل الظلام الاخرى ..

وبهذا المكسب اعيدت الثقة بقواتنا المسلحة واعيد تركيب عقليتنا السياسية والعسكرية .. بيد انهذا لايعنى اننا لم نوجه نقدا للنواقص والاخطاء والمثالب بل على العكس أحدثت النكسة ـ عملية مراجعة ـ ـ شديدة للنفس ـ والصدق معها ـ وكان يقينا مؤلما أن نعرض الكثير من الاخطاء ولكننا تجرعنا مرارة الالم بشجاعة الصابر والمؤمن بعدالة قضيته .

ملامح الغد والجولة القادمة

تلك هي الدروس الصعبة التي تعلمناها من النكسة وهي دروس محفزة ومثبطة في ذات الوقت • فمن حيث هي مثبطة كان رد الفعل الاول الذي شرحناه آنفا ومن حيث هي محفزة كان الرأي الثاني والرأي الذي يقع بينهما رغم أخطاء الحماسة والانفعال ، ومع ذلك هناك مسائل اخرى :

المسألة الاولى

ان المعركة تثبت أن الغطرسة الامريكية قد تأتينا بالشكل الفيتنامي •••

وحقد تلك الغطرسة لن يتورع عن تدخل سافر ومكشوف وفلسفة تصعيد الحرب الاميركية في الفترة الاخيرة منذ تحرشات اسرائيل بالجبهة المصرية العربية الى تحرشاتها بالاردن •• تلك الفلسفة تؤمن بأن الخط البياني للعمليات العسكرية العدوانية الاميركية سواء بواسطة اسرائيل نفسها أو بواسطة الاسطول الامريكي السادس العائم في البحار ـ يمكن أن يصل الى مستوياته العالية : فأمريكا التى كانت تحارب العرب اقتصاديا بصورة سرية • حاربتهم في العدوان الاخير بصورة مقنعة • ولقد أكدت التجارب ان اسرائيل قزم قميء لا تستطيع مواجهة العرب لوحدها • فجاءت خلفها أمريكا وبريطانيا مقنعتان • الا انهما قد تجيئان فى المستقبل بصورة سافرة وهذا احتمال غير مستبعد اطلاقا • فلنستعد له :

المسألة الثانية

ان العدو يحاول تطبيق الحرب الصاعقة على جميع الجبهات

لعدة أسباب من أهمها :

١ - الاسراع بتقويض وتحطيم القوات المسلحة العربية على جميع الجبهات نهائيا قبل أن تستكمل معداتها وتوسع قواها البشرية

٢ - الامر الثانى هو امتلاك المبادرة من جديد واستغلال الانتصار الموقت الى أبعد الحدود وتفويت الفرصة على الجماهير الشعبية العربية التى تستعد لخوض حرب - مقاومة - طويلة المدى -

٣ - اثبات : ان اعتماد العرب على أصدقائهم غير مجد لان قواتهم الضاربة لا يستطيع أصدقاءهم التعويض عنها في كل مرة ينهزمون فيها • وبالتالى يتحول العرب الى قوة -مضروبة- مستسلمة كلية.

اثنان لاثالث لهما

وهذه الاحتمالات أو العوامل الثلاثة في المسألة الثانية يقيم لها العدو وزنا كبيرا •• وهو يستعد للمسألة الثانية بواسطة القزم القمىء اسرائيل • أما المسألة الاولى فان أمريكا تستعد لها بنفسها وربما يكون فيها دورها المكشوف مدعاة فخر بالنسبة لها بعد أن عجز العالم كله عن تأديب اسرائيل • فاذا كانت هذه المرة هى أمريكا بالذات التي قتلت وشردت وجرحت وشوهت ثلاثة ملايين فيتنامي ومع ذلك تتبجح أنها تخوض الحرب هناك للدفاع عن شعب فيتنام •• فماذا يفعل لها العالم ؟

◆ أما فيما يخص الجانب العربي فمن السهل الوصول الى صيغ مناسبة مع أصدقاء العرب الكبار من أجل التعاون على ازالة آثار العدوان - وتصفية الكيان السياسى الاسرائيلي - كمهمة عاجلة وآنية • وليكن ذلك التعاون حاسما لكيما

يحقق لنا النصر في المعركة دون أن ينفجر الصراع بين المعسكرين بصورة كتلية ذرية . ولكن قبل كل شيء نحن القوة الضاربة في المعركة : (قوة الميدان) أما قوة التكنيك فلتكن من الاصدقاء فلقد فعل الاعداء ذلك واستغلوا الاحقاد الامريكية على العرب اسوأ استغلال. فاذا كانت الآلة التكنولوجية الامريكية في العدوان الاخير بأيدي اسرائيلية . فلتكن الآلة التكنيكية لاصدقائنا بأيدي عربية في الجولة القادمة . ومع ذلك فان آفاق الغد في معركة المستقبل تحتاج الى تكتيك مرن واستراتيجية ثابتة واعتماد كامل على النفس في الميدان وصيغة عمل ثورى يرتفع بالامة العربية الى مستوى المعركة وما فوقها .. فليكن حديثنا الآتي عن هذه المواضيع ولنستكمل بقية حديثنا هذا في الفصل التالي .

الفصل الثامن عشر

هل يبدأ العدو بالهجوم أم نبـدأه نحن ؟

هل هناك عوض وبديل عن النكسة ؟

رغم ان العدوان الثلاثي الاخير أصابنا بنكسة خطيرة ورغم ان سعة الاراضى التى احتلتها اسرائيل تبلغ ٤ أضعاف مساحة الارض التي احتلها العـدو عام ١٩٤٨ ، فالمساحة الممتدة من القنطرة فـى الجنوب حتى القنيطرة في الشـمال تشكل رقعـة جغرافية يستطيع العدو فيها توطين أكثر مـن ١٢ مليون نسـمة ، رغم جميع هـذه المسـائل فان العـدو لم يحقق أهدافه كليـة ، فالعـدو لم يسقط النظم التقدمية العربية ، ولم يفكك وحدة النضال العربي ، بل على العكس توطدت النظـم التقدمية وازدادت وحـدة النضـال العربي واختفت الرجعيـة مذعورة في جحورها بل راحت فصائلها المقنعـة وغير المكشوفة تتظاهر بالتقدمية .. وهذا دليل على أن نتائج العدوان عمقت الشعور الشعبى بضرورة وحدة الامـة العربية وتلاحم قواهـا اقتصاديا وسياسيا ، كمـا ان المعركة أجبرت حتى المترددين عـلى الاقـدام وحركت المبادرات الرسـمية والشعبية ، وجعلت ممارسـة المقاطعة الاقتصادية لامريكا والغرب أمرا واقعيا ، وهنا ترتفع أصوات

الحماسة فتقول عن سذاجة أو عن سوء نية ان هذا يكفى ، فتلك المكاسب تشكل (عوضا وبديلا) عن النكسة العسكرية .. وتنسى انه لاشيء على الاطلاق يعوضنا عن النكسة العسكرية الا انتصار عسكرى يعادلها ان لم يتفوق عليها .. فمغزى الانتصار العسكرى أكثر وزنا واعظم قدرا من الانتصارات الاخرى .. ولعل مرد ذلك يعود الى اننا مهما حققنا من انتصارات سياسية واقتصادية واجتماعية فانها تظل مهددة بالزوال . »

◆ بل ان ثقة الجماهير العربية بنفسها ستزول كلية اذا أصبنا بنكسة عسكرية جديدة، ولقد شاهدنا النشاطات الاميركية والصهيونية والبريطانية المحمومة بعد العدوان على الصعيد السايكولوجي وكيف اتصفت تلك النشاطات بالقدرة والتركيز على مبادئنا وأفكارنا وقيمنا الجديدة ، بعد العدوان بعدة أيام كادت جميع آمالنا أن (تتبخر) ، كادت الكارثة تقع .. الا ان الصراع العظيم انفجر في نفسية الانسان العربي الذي هو رغم جوعه وعريه وبؤسه ، كان قويا كالاسد ، وهنا نرى المغزى الكبير للتظاهرات الشعبية التى انطلقت يوم ٩-١٠ حزيران ، فاندحرت الحرب النفسية الاستعمارية وفشل العدوان في تحقيق أغراضه .

التحدي والرد على التحدي

◆ لقد حمت الثورة الشعبية التي انطلقت يوم ٩-١٠ حزيران الجيوش العربية من خطر الانهيار النفسى وأعادت الثقة بالامة العربية فانصهرت ارادة التعبير الثورى المتجسدة بالثورة العربية ، انصهرت بارادة الصمود أو الفناء .. وهنا أثبت الشعب العربي

– تاريخيا – انه شعب واع ، رغم جميع المفاسد والمثالب والاخطاء ، كما أثبت الشعب العربي وعيه الوحدوى في أعظم استفتاء عصرى وفي اقتراع حر مباشر وعفوى .. وذلك يعد مكسبا عظيما بعد النكسة فلقد تعدت الوحدة القومية في هذا المكسب جميع العقبات وتجمعت ارادة الشعب في (بؤرة) مغناطيسية ، استطاعت أن تجذب جميع القوى المناضلة في الوطن العربي ، ولقد أدركت ارادة الشعب العربي انها أزاء تحديات المصير ، وردود الفعل فى التحدى المصيري تتجاوز جميع الاخطاء والقيود ، ولهذا الامر وبسببه تخطت الجماهير العربية الحكومات وباشرت مهامها بنفسها ، لم تنتظر أن يطلب منها ما يراد بل كانت هي التى تطالب فمارست حربا حقيقية ضد مصالح العدو الامريكي والبريطاني فى داخل البلاد العربية وقاطعت بضائعه بل شاركت في ضريبة الدم .

مكاسب النكسة اكثر تصعيدا للمعركة القادمة

وامتد الوعي العربي بطريقة شمولية حتى شمل جميع أبعاد الساحة العربية من المحيط الى الخليج ، رغم المواقف المتخاذلة للبعض ، ورغم عدم الالتزام الذي مارسته بعض الجهات البترولية العربية – وأهم من ذلك كله حصلنا على مكسب كبير وعظيم فى الان ذاته الا وهو تلاحم المشرق العربي والمغرب العربى ، لقد شعر الاخير ان جناحه الثاني قد أصيب ، وأدرك انه لا يستطيع التحليق بواحدة ، وهنا كانت فعالية الجزائر في المعركة تنطلق من هذا الادراك اذ أن الجزائر أكثر بلاد المغرب العربى تحررا .

◆ كذلك دفعت المعركة أصدقاء العرب في المعسكر الاشتراكي الى الاحساس العميق والواقعي بخطورة الموقف ، وانهم لذلك يجب أن يعضدوا العرب في كل مكان وفي جميع المجالات ، فالصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ ليس صراعا بين العرب ـ واليهود الصهاينة فحسب ، وانما صراعا مع الغرب الاستعمارى ذاته ، انه صراع تحرري فى الجانب العربي ، وصراع استعمارى في الجانب الصهيوني ـ الامريكي ، من هنا أدرك اولئك الاصدقاء ان اللين مع الافعى غير مجد وان ـ التعايش السلمى ـ مع الثعبان ـ سينتهى بموت الانسان ، وسوف يحترق العشب ويموت الزرع والنسل ! .

◆ ومن هنا أيضا أدركنا نحن العرب أن (المباراة) ليست (سلمية) بيننا وبين الغرب ، وكل من يطلب منا جعل (المباراة سلمية) مع الغرب واسرائيل فهو صديق لعدونا حتى وان كان يتظاهر بصداقتنا !.

قطبا الصدام

ذلك هو موقفنا المحدد بوضوح مطلق ورأينا الذي لا شبهات حوله ، ومن هنا منطلقنا لتصفية آثار العدوان والكيان السياسي لاسرائيل والخطوات المترتبة عليه ، هذا من ناحية أما من الناحية الاخرى فلقد بات مؤكدا أن تلاحم النضال العربي بكافة القوى التقدمية في العالم وبالذات البلدان الاشتراكية هو الشرط الاساسى للتصدى لكافة المؤامرات الاستعمارية ، فالعدوان استقطب العالم الى قطبين متنافرين ، الاول قطب العدل والحق وهو الجانب العربي والثاني هو قطب الفاشية

والظلم والاستعمار وهو الجانب الامريكى ـ الاسرائيلي بل ان العدوان دمر جميع الدعايات الصهيونية في العالم التى كانت تصور اسرائيل بانها دولة مسالمة وقلعة حضارية لتطوير الشرق العربى المتأخر ـ كذا ـ وسقط القناع عن الوجه الامريكي البشع الذي ضلل العالم عن حقيقة اسرائيل كمشروع استعمارى بحت وضع نفسه في خدمة الامبريالية البريطانية من قبل والامبريالية الامريكية من بعد ، وبانت الوجوه المقنعة بأقنعة تقدمية على حقيقتها وظهر الاصيل من المزيف ، وأدرك العالم جيدا ان اسرائيل ـ نواة عدوانية ـ وكيان غاصب ـ وأداة توسعية للصهيونية والاستعمار الامريكى .. ولا يغير من هذا نتيجة تصويت الدول فى الامم المتحدة ، فهذه الدول قد تخطت شعوبها ، بل ان أغلبها ضد شعوبها التي تعرف حقيقة اسرائيل وأمريكا وبريطانيا .

الامم المتحدة بين الوهم والواقع

ولعل من أهم الدلائل التى كشفت عنها عملية التصويت فى الامم المتحدة ان الهيئة العالمية لا تزال تعيش بعقلية القرن التاسع عشر وانها تنظر للامور نظرة ـ سلبية ـ ولذلك فلا يمكن الاعتماد عليها في استرداد حقوق الشعوب المغلوبة والمضطهدة ، لقد فضحت الامم المتحدة نفسها كأداة بأيدى الدول الكبرى المعتدية وكمنبر خطابة واستهلاك كلامي ليس غير ، وكان يقينا مؤلما بالنسبة للعرب الذين أدركوا ان جميع تصوراتهم عن الهيئة العالمية كانت مجرد (أوهام) فلقد غدرت بهم هذه الهيئة في عام ١٩٤٨ وأعادت الكرة بصورة بشعة عام ١٩٦٧ ، ذلك هو الدرس الصعب ، وتلك

هـي حسابات الخسائر والارباح ، فاذا ما انتقلنا الى احتمالات المستقبل فان أول ما سنصطدم به هى الخسائر الاقتصادية المادية ، فلقد ترتب على العدوان قطع الموارد المالية البترولية وقطع عائدات قناة السويس والتجارة الخارجية مع الغرب ، وهذا بالطبع يؤثر على الاقتصاديات العربية وخطط التنمية فيها .. لكن هذه تضحية هينة بجانب العدوان الذي وقع علينا ، جسامة الخسارة العسكرية وفقدان الارض والارواح ، تهون أمامها الخسارة المادية الاقتصادية، بل ان الخسارة المادية الاقتصادية ستفتح آفاقا جديدة أمامنا ، ومن هذه الآفاق :

أولا : في المضمار النفطي

تنشيط شركات النفط الوطنية العربية ودعمها وتعضيد مجهوداتها التنقيبية والاستثمارية والتسويقة عن طريق تشريع القوانين التى تعطيها صلاحية أستثمار الاراضى المنتزعة من الشركات الاحتكارية الغربية ، كما حدث في العراق عندما شرع قانون ٩٧ ومن قبلة قانون رقم (٨٠) ، لكن جميع المجهودات والقوانين التي سنت أو التي ستسن لاتكون عملية اذا لم تبرز الى حيز التطبيق ، واذا لم تأخذ مجالها الفعلى ، اضافة الى كون التشريعات سوف لن تؤدى الى قصم ظهر الاحتكارات اذا لم تبادر الشركات الوطنية النفطية العربية بأخذ زمام المبادرة والاستعانة بالخبرات البترولية التى لدى الدول الصديقة ، واستخراج النفط من الحقول الرسوبية ، وبيعه الى الاسواق الخارجية عن طريق المقايضة السلعية اولا وبعدئذ البيع

بسعر الكلفة ثم بالسعر العالمى اذا استلزم الامر ذلك .. ومحاولة خلق شركة عربية نفطية موحدة تسعى لتكوين اسطول ناقلات موحد ومواصفات موحدة .. الخ .

ثانيا : في المضمار الاقتصادي

ابراز السوق العربية الموحدة الى حيز الواقع ، فالبلاد العربية تشكل في مجموعها عالما متكاملا ، وبايجاد هذه السوق يمكن الاستغناء عن الحبوب واللحوم وكافة مستلزمات الحياة الاخرى التى تستورد من الخارج ومن الغرب بالذات ووجود هذا السوق يوفر عدم تسرب العملات الصعبة الى الخارج والاعتماد على النفس ، اضافة الى رخص النقل ، وتحقيق التكامل الاقتصادى الذي هو مقدمة للوحدة العربية بين أجزاء الوطن العربي ، وهذا الامر يقرب المشاعر ويزيل كافة الترسبات وعوامل التجزئة ، كذلك توفر السوق العربية المشتركة رخص الاسعار والاعفاءات الكمركية ووجود صناعات تعتمد على بعضها بعضا .

أما أن نكون أو لا نكون

هذا في الجانب الاقتصادى الذي تكشف أبعاد الواقع انه يبرز جوانب ايجابية لصالحنا .. والخسائر ستتحول الى أرباح اذا عرفنا كيف نستغل الظرف التاريخي الراهن ونمنهج أعمالنا ونحدد خطواتنا ونكتم أسرارنا ونفكر بعمق بنكستنا ونرفع الظلم الطبقى عن انساننا العربي ونطلق طاقاته الخلاقة في الاعمال البناءة،

فالانسان الجائع المضطهد الغريب في وطنه ، المستثمر من قبل انسان آخر من أبناء جنسه ، لا يستطيع أن يتحول الى مقاتل الا متى شعر بالكرامة وبأن جذور كرامته الانسانية تتجذر عميقا في تربة أرضه ، ان حب الارض وحب الوطن والقومية ينبعان من حب الحياة .. ان انساننا العربي بشهادة التاريخ والتجارب مقاتل شجاع وهو سيكون كذلك اذا شعر أنه يدافع عن كرامة حياته ومكتسبات مجتمعه ونظامه الاشتراكي العادل .

وهو اذا كان قد أصيب بنكسة معنوية وجرح عميق في الخامس من حزيران لاسباب ذكرناها وأسباب لم تذكر . فهو سيحول النكسة الى حقد عميق ، الى شحنة رهيبة وتماسك نادر واصرار جبار .. فالحقد نار محرقة ، والغضب يفجر في الانسان طاقات الانفعال ، ولكن ليكن حقدنا وغضبنا وانفعالنا داخل عقل مفكر وبصير ، فطاقات الانفعال بدون عقل وفكرة .. تذهب بالقوة كما يذهب الهواء بفقاعات الصابون ، وكل عمل دؤوب ومتواصل يصنع بالعقل ويفجر بالانفعال ، فلنكن على هذا المستوى دائما .

تصفية اثار العدوان ورد فعل العدو

كل هذه المسائل ليس لها معنى اذا لم نستعد لاحتمالات المستقبل ولمفاجآت العدو . فلقد قلنا في حديث سابق ان آفاق الغد ومستقبل المعركة ستحدد عدة اشكال للحرب . أولها الشكل الفيتنامي المكشوف الذي تتدخل بواسطته الولايات المتحدة . وثانيها الضربة المباغتة التي تعيد طراز الحرب الصاعقة التي شنتها امريكا واسرائيل وبريطانيا

بواسطة التكامل بين اداتى الحرب الاميركية والاسرائيلية وبكتمان مطلق .

وفي (هذه الايام) بالذات اخذت الانباء تنقل اخبار تحشدات العدو العسكرية الواسعة . ولعل من الواضح ان اسرائيل بعد ان خبرت الهيئة العالمية والدول الكبرى وبعد ان قتلت وذبحت وشوهت بقنابل النابالم الاف البشر من العرب وضمت القدس العربية وبدأت بتنفيذ نقل السكان من غزة الى الضفة الغربية ، تحاول خلق دولة في بقايا فلسطين من العملاء تحقيقا لمشروع بريطانى قديم باقامة دولة يهودية ودولة عربية ثنائية تتعايش والسيادة طبعا للاستعماريين الرابضين خلف البحار . وتحقيقا لمشروع اميركى باحياء المركب الاستعمارى القديم : خلق دولة عنصرية تشبه جنوبى افريقيا تتحكم بمائة مليون عربي ـ المحور الاستعماري الوهمي ـ تحاول اسرائيل خلقه الان .. وفوق ذلك تستعد اسرائيل لجولة جديدة .. وقد جاءت انباء التحشدات العسكرية مصداقا على ذلك .

ليس هناك من رد غير الجولة القادمة

واسرائيل تستعد لتوجيه الضربة المباغتة كالضربة التى حققت فيها انتصارها الموقت والتى انهت اشتراك الجيوش العربية في المعركة قبل ان تستعد كلية او تكمل تحشداتها. استغلت اسرائيل حالة عدم الاستعداد العربى او حالة التهيؤ للاستعداد فشنت هجومها المباغت وهى الان تستعد لهجوم مشابه . وبالنسبة للمستقبل القريب فليس هناك مفر من المعركة الجديدة لاننا بدون المعركة أجساما بلا أطراف ولا مجال هناك لتسوية مشكلة العدوان غير معركة جديدة . فاسرائيل لن

تنسحب من الاراضى التى احتلتها بصورة سليمة • وحتى لو انسحبت اسرائيل ـ وهذا محال ـ فان جميع افكارنا ومبادئنا وقيمنا تظل مهددة بالزوال ، بل ان الشك سيتسرب الى وجودنا وهل نحن نستحق الوجود أم لا ؟ اننا بحاجة الى معركة جديدة ومسألة البدء بالهجوم تقررها تحركاتنا وتحركات العدو نفسه فلقد فوتنا فرصة تاريخية معـــدة لهجومنا في ازمة خليج العقبة لاسباب سياسية دولية كما ذكر الرئيس عبدالناصر ، الا اننا يجب ان لا نفوت الفرصة من جديـد فالنصـــر الجديد الذي سنكسبه سوف يحيل اسطورة القوة الاسرائيلية الى وهم وفضلا عن هـذا فالمعركة سيخوضها العـدو ضدنا ان لم نفعـل وهو يستعد لذلك منـذ استقباله لطائرات سكاي هوك وفانتوم والهيلكوبتر والمتطوعين والمرتزقة • انـه يستعد لجولة ثانية •• أما نحـن فبدون جولة قادمة سنكون وجود بلا قوة قادرة •

الفصل التاسع عشر

الوحدة بعد نكسة حزيران

◆ ان الاحداث التي مرت على الشعب العربي بعد نكسة حزيران جعلت الكثيرين من أبناء هذا الشعب يتساءلون : لوكانت الوحدة قائمة وكان العرب اكثر تضامنا في النواحى الاقتصادية والسياسية والعسكرية او بتعبير اخر لو كان العرب واجهوا العدوان وهم موحدون هل كان العدوان يحقق اغراضه ؟

من هذا السؤال ينطلق البحث في قضية الوحدة بعد النكسة .

خصائص القضية تاريخيا واقتصاديا

ان طرح مسألة الوحدة العربية بعد نكسة حزيران يجعلنا ندرك ان هذا الطرح يجيء في ظروف لا زال العدوان الامبريالى فيها قائما على البلاد العربية . ومن هنا يجب ان ننظر الى الوحدة العربية على انها مسألة مصيرية مطروحة بالحاح بسبب كون العدوان الامبريالي في هذا الوقت يحتوى اهتمامنا ومجهوداتنا السياسية وغير السياسية وعلى هذا فلا يجب ان نرى ان بحث مسألة الوحدة يعنى بالضرورة والحتم تحويل الانظار عن مسألة العدوان . بل على العكس فبحث قضية الوحدة هو بحث عن طريق لازالة العدوان ـ وازالة الكيان السياسى لاسرائيل ـ وذلك لسببين أساسيين .

السبب الاول

ان الوحدة قضية مصيرية تبحث في كل آن ومكان طالما كانت « التجزئة » موجودة لان مبرر الدعوة للوحدة هو كون التجزئة وجدت بسبب السيطرة الاستعمارية والامبريالية • ولذا فالنضال ضد الاستعمار والامبريالية هو نضال ضد اشكال ونوعية النظم التي اقامتها فلقد اوجدت الدول الاستعمارية ـ التجزئة ـ لكي تضمن مصالحها الاقتصادية والتجارية والبترولية • فاغلب اقتصاديات الدول العربية تحت السيطرة الاستعمارية الاقتصادية منذ تكونت هذه الدول في بداية القرن العشرين او اواسط القرن التاسع عشر ففي بداية العصر الرأسمالي الصناعي استفادت الامبريالية من تخلف البنيان الاقتصادي للبلاد العربية فسلطت عليها احتكاراتها النفطية كما استفادت من تفككها الاجتماعي والسياسي • فركزت التجزئة من اجل ايجاد مجتمعات عربية متفاوتة التطور • ونتيجة لذلك وكوجه من وجوه هذه العملية التاريخية الاستعمارية كان نشوء البورجوازيات العربية في احضان الدولة المستعمرة • كما ان البلاد العربية المجزأة حولت من بلاد تصدر الخامات وتستوردها بعدئذ على شكل الات مصنعة الى سوق تجاري واسع •

◆ وهكذا عمقت التجزئة بمرور الزمن وكان ذلك التعميق يمتد كلما توسعت وتسلطت المصالح الامبريالية • واذن الجذور الاساسية للتجزئة هي المصالح الامبريالية • وعلى هذا فطرح قضية الوحدة العربية في هذا الوقت هو طرح لقضية مصيرية واقتصادية ترتبط ارتباطا عفويا بالنضال ضد الامبريالية العالمية والرجعية • وكشيء بديهي

فالعدوان من اثار الاستعمار واسرائيل • لذلك فان بحث قضية الوحدة ليس تأجيل لقضايا العدوان وانما شرح وتوكيد لها في الصميم واعتبارها المهمة العاجلة والاولى •

السبب الثاني

ان تحريك قضية الوحدة في هذا الوقت بالذات يخلق جوا ملائما لازالة اثار العدوان والرد على التحدى الامبريالى • لانه يعنى خلق ضغط مباشر من قبل الرأى العام العربى • وخلق وعى وحدوى شامل يزيل التناقضات السياسية والفكرية بين القوى التقدمية والاشتراكية في الوطن العربى •

النضال ليس على جبهة واحدة

والشىء المهم في كل ذلك هو ان المثقفين الثوريين يستطيعون جعل موضوع الوحدة هو المدخل لبحث جميع المواضيع • كما ان النضال العربى من الناحية التكتيكية لا يمكن ان يشغل بطرح موضوع واحد على حساب المواضيع الاخرى • لانه نضال على عدة جبهات • ورغم كل شىء تظل لدينا مقولة اساسية الا وهى ان تعميق التجزئة هو بالضرورة تعميق لكافة التناقضات الموجودة في بنية الاقطار العربية وبقاء للاحتكارات الامبريالية • ولا تستطيع دولة عربية بمفردها صد الغزو الاستعمارى او تأميم النفط •

تأميم النفط

فاذا ما خرجنا من قبضةهذه المقولة استطعنا التحرر منالاستعمار الاقتصادى مباشرة بعد ان حصلت بعض دولنا العربية على استقلالها

السياسى .. وحققنا التكامل الاقتصادى العربى عن طريق جعل الدولة العربية سوقا واحدا يكمل بعضه بعضا . والجدير بالذكر ان اتفاقية السوق العربية المشتركة لا زالت ابطأ من السلحفاة فهى لم تحقق لحد الان أى تكامل اقتصادى بين الدول العربية . وكل ما حققته هى محاولة منع ـ اتباعد ـ الاقتصادى بين هذه الدول .

مفهومان للقضية

ولذلك نرى ان الاتفاقيات الثنائية او الثلاثية لا تقوم مقام الوحدة بل على العكس قد تكون هذه الاتفاقيات لاسباب سياسية موقتة بينما يظل « التنافر » الاقتصادى من اهم اسباب عوامل اتباعد بين العرب . الامر الذي يسم تلك الاتفاقيات بعدم الجدية . وعلى الاجمال فنحن نرى الخط البيانى للتباعد التجارى والعلاقات الاقتصادية بين الدول العربية يسير في طريق منحدر . ويرتبط هذا الانحدار بانتزايد المطرد لتصدير الخامات الى الدول الاستعمارية .

◆ ان من يعلق الامال على ان الاتفاقيات ستقيم الوحدة يخدع نفسه والمراهنة على ذلك مراهنة على غد يحتوى على الكثير من الاحتمالات . اننا نرى ان الوحدة هى الحل الوحيد لكافة التناقضات الاقتصادية الموجودة بين الدول العربية . كما ان الوحدة برأينا هى الطريق الطويل الامد للرد على التحدى الصهيونى والامبريالى . لان الحقيقة الموضوعية التي نستشرفها من الوحدة انها تهيء المناخ الواحد للتطور الاقتصادى المتكامل بين البلاد العربية بينما التجزئة ـ موضوعيا ـ ساعدت على تعميق التفاوت الاقتصادى . واوجدت طبقات بورجوازية تجارية وبيروقراطية وعقارية تنظر كل منها الى الاخرى نظرة شزراء

وحذرة . وحتى هذه البورجوازيات لم تستطع الاتفاق على قيادة احدى فصائلها وتحقيق الوحدة من اجل تحقيق سوق قومية واسعة على النمط الاميركي . كذلك لم توجد بورجوازية على النمط البسماركي تحقق الوحدة بالقوة .. لان هذه البورجوازيات متناقضة اقتصاديا ولا اعتقد انها ستخرج من تحت هذه المتناقضات بدون انعطاف تاريخي في بنيانها الاقتصادي .

الوضع الراهن ومهمات التغيير التاريخي

ان ظاهرة التبعثر والتباعد الاقليمي في الوطن العربي سياسيا واقتصاديا تكمن اسبابها في العوامل التالية :

١ ـ تفاوت التطور الاقتصادي وبرامج التنمية . وعدم الصيرورة الموحدة للارضية السياسية .

٢ ـ تفاوت التطور لدى الطبقات وتفكك الكيانات السياسية بسبب تفكك المجتمعات التي كانت مبنية على العلاقات شبه الاقطاعية . ونشوء مجتمعات مدن كبيرة تعتمد على الصناعات الغربية . ـ وصناعات محلية خفيفة لسد الاحتياجات الكمالية والترفيه ـ . ونمو عقلية تجارية ووظيفية مبنية على المنفعة . الامر الذي أدى الى بروز شخصية الاقليم او القطر .

٣ ـ بروز الكيانات السياسية وتحكم العقلية القطرية بتلك الكيانات كحتمية تاريخية للتجزئة التي لها من العمر قرابة القرن .. ان بروز تلك العقلية هو بمثابة قانون موضوعي ككل قانون اجتماعي ولكنه يمسك بخناقنا هذه المرة ويحاول زيادة عوامل التناثر والتبعثر ما بين اقطارنا .

٤ ـ ان مسار اتجاه التقدم في البلاد العربية يسعى الى بلورة مواقف متناقضة في كل قطر وبذلك لا نرى ان التطور ـ الموضوعي ـ يسهم في قلب التجزئة وايجاد الوحدة • بل العكس فاننا نعيش في عصر التكتلات الكبرى التى تسعى الى تثبيت التجزئة • كما ان عصرنا عصر العلم والتكنيك تبغى الدول الكبرى فيه ابقاء التجزئة من أجل استثماراتها الستراتيجية •

◆ وأرى ان الخطأ الذي وقعت فيه بعض أجزاء الحركة العربية الثورية • هو الاعتقاد ان المستقبل كفيل بفرض الوحدة العربية كضرورة حتمية • بفعل التطور الموضوعي المتشابه للاقطار العربية • ان هؤلاء نسوا الترابط الوثيق بين اقتصاديات كل قطر عربي وكيانه السياسي • كما نسوا ان الامبريالية بثقلها الاقتصادي والستراتيجي تتفاعل مع التجزئة تفاعلا جدليا • كما ان الاجيال العربية القادمة بفضل الطابع النظري التجريدي الذي تتلقى بواسطته دروسها وعلومها • سيكون فكرها منفصلا عن الوحدة كهدف ستراتيجي • انى اعتقد ان اطراف الحركة الثورية العربية تدرك ذلك ولكنها تعول على النضال العربي المشترك ضد الاستعمار في ايجاد ـ عقلية ـ موحدة ـ الامر الذي يؤدي بها الى الاقرار ـ بالتجزئة ـ الموضوعية والتسليم بالتطور التدريجي لصيرورة الوحدة •

لا زلنا نقول من أين نبدأ ؟

لابد من الاعتراف ان هذا الخطأ ناشىء عن قصر في الفهم العلمي وعن عدم فهم لدور الامبريالية العالمية في ابقائها حالة التجزئة او نزول بذلك الدور الى المرتبة الثانوية •

◆ ولابد من الاشارة هنا الى ملاحظة تطرحها بعض القوى التقدمية الا وهى كيف تحقق الوحدة العربية بدون تكامل اقتصادى بين الدول العربية • ونجيب على ذلك السؤال بسؤال اخر كيف نحقق الوحدة بالتكامل الاقتصادى • ونحن هنا نواجه قضية مفرغة اذ ان التكامل الاقتصادى يواجه بالتجزئة كواقع اقتصادى • والتجزئة بالنتيجة تغذى عدم التكامل • وعدم التكامل يغذى التجزئة بدوره •

اذن لماذا لا نقلب السؤال ونقول لماذا لا نجعل الوحدة تحقق ذلك التكامل ؟• ولماذا لا نجعل الوحدة الاطار الذي تعالج فيه قضايا الاشتراكية وتوحد النظام السياسى للاقطار العربية ؟• ان هناك سوابق تاريخية نجحت فيها وحدات فرضت بقوة النظام السياسى ثم سعت لتغيير المجتمع واقامة التكامل الاقتصادي • منها تجربة الاتحاد السوفياتي •• ويوغسلافيا • وحتى تجارب الدول الرأسمالية كانت تسير في نفس الطريق تقريبا • وأرى ان الحل الثوري في معالجة عدم التكامل الاقتصادي هو الذي يفرض هذا التكامل عن طريق تقويض التجزئة • اذ ان تقويض التجزئة يؤدي الى تغيير – موضوعي – في علاقات الانتاج• والسياسة• والاقتصاد• والمجتمع والجيوش العربية • ومن هنا ضرورة ارتباط الاشتراكية بالوحدة• وفي هذه النقطة نصل الى ضرورة توحيد الحركة الثورية العربية تنظيميا وايديولوجيا • لغرض ايجاد صياغة موحدة للوحدة والاشتراكية •

الوحدة والصراع – هل من جديد بعد النكسة

ولكن يبدو ان وحدة القوى التقدمية العربية غير ممكنة الان رغم جميع العوامل التي ذكرناها • لان التطور الموضوعي للفكر

الاشتراكي في البلاد العربية لا زال يرتبط بايديولوجية كل طبقة تتبناها .. وموجة التفكير الاشتراكي الدارج الان متأثرة بالادبيات العلمية . لكن في تلك الموجة مئات الروافد والتيارات .. وكل تيار يفسر الاشتراكية انطلاقا من موقعه الطبقي وتجاربه ورواسبه وحصيلة مواقفه الجماهيرية وعقده السياسية. هذا أولا أما الامر الثاني. فهو ان الثورة الوطنية القومية في البلاد العربية لا زالت تتهيب من الاشتراكية . ولا زالت ترى ان السياسة ليست تكثيفا طبقيا للعلائق الانتاجية ولا زالت تحتوي على طبقات بورجوازية كبرى وصغيرة ووسطى ذات تفكير ليبرالي أو استبدادي أو فردي متسلط .

لماذا لا تتم وحدة القوى التقدمية ؟

ولكن تحول الثورة الوطنية والقومية الى الاشتراكية لا يعني بحال من الاحوال انتفاء التناقض أو الصراع بين المجموعات والطبقات المتحالفة أو التي تتشابه مصالحها .. بل بالعكس . فالتحول . أو حتى مرحلة الثورة الوطنية ذاتها ـ بدون تحول ـ ترتفع الى مستوى كثيف من المتناقضات . ومن خلال المتناقضات . ومن خلال تلك الصراعات تنبثق مرحلة التحول . ويسهم الفكر العلمي أكبر اسهام في هذه المرحلة من أجل افراز الجيد وطرح الرديء جانبا وتحقيق وحدة القوى التقدمية وهذا ما بدأت ملامحه تظهر في أفقنا .

◆ بقيت لدينا عدة ملاحظات لابد من ذكرها . وهي أنه لا يوجد نضال قطري منفصل عن النضال القومي اذ أنهما مندمجان ومتوازيان. ولكن لكل واحد منهما خصوصيته وموضوعيته والمقياس نفسه ينطبق على النضال الطبقي الذي لا ينفصل عن النضال القومي . فالتحرر من

الامبريالية يعني بالضرورة تحرر اجتماعي • كما اننا يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار ان العالم ينقسم الى أمم غنية وأخرى فقيرة • ومن هنا منشأ ضرورة تلاحم الكفاح الطبقي مع الكفاح القومي •

تلك هي الملاحظة الاولى • أما الثانية فهي سؤال هو ما هي دروس النجاحات والفشل لتلك المقاييس المذكورة على بساط الواقع بعد نكسة حزيران ؟•

◆ بوجه الاجمال الجواب على هـذا السؤال لا يكون ممكنا الا اذا أدركنا الخطوات التي اتخذت بعد النكسة مباشرة • فرغم ان الظروف الحاضرة تجعل من الوحدة مسألة ملحة لا زالت التحفظات هي السائدة • والقوى التقـدمية غير موحدة • حتى ان العرب لم يحققوا أدنى أشكال الوحدة مثل الوحدة العسكرية للرد على التحدي الامبريالي الصهيوني • وهذا برأينا يعود الى المواقع ـ الموضوعية ـ المتناقضة التي تقف عليها قوى الثورة الوطنية والقومية • وسيادة روح التجزئة وعدم الاتفاق على المنظور الفكري والاداة العملية • ولا بد من الاعتراف ان فك متناقضات الثورة العربية يحتاج الى زمان وتطورات أساسية يحتاج الى جهد شاق وعمل متواصل • ان لحظات الصدام لـدى الامم تخلـق مخاض الولادة العسيرة • فيكون الوليد قويا ونشيطا • وتلـك هي مسـألة الصراع العربـي ـ الاسرائيلي فـي السلب والايجاب • ترى هل يزول العرب أم يزول الكيان السياسى الاسرائيلي وهل ينجح التحدي الاسرائيلي ببعث الفعاليـة العربية ؟• جواب ذلـك السؤال يكمن في مضـامير الاستجابة العربية وقواهـا الذاتيـة !•

الفصل العشرون

أزمة الثورية العربية بعد عدوان حزيران

ارضية المواقع المتضاربة

ان أغلب القـــوى التقدمية في الوطن العربـــي تختزن طاقات ايجابية • ورغـم الخلافات الجانبية بين هـذه القوى ورأى بعضهـا بالبعض الآخر • فهي تظل جميعا قوة ذات تأثير على الاحداث بحكم الواقع الموضوعي أما جوانب الضعف والسلبية فلا يجب أن تشـكل موانع عميقة تعوق امكانات اللقاء •• فلقد كشفت الاحداث التي تعاقبت منذ قيـام الوحدة بين مصـر وسوريا عام ١٩٥٨ ان القوى التقدمية العربية لا تتحمل جميعها الاخطاء المبدئية والعملية • بسبب قصور عقليتهـــا وايديولوجياتها أو مواقفهـــا وأخطاء تكتياكاتها وبرامجهـا السياسية والمرحلية • وتعويل بعضها على فترة معينـة وظهور روح الاستعلاء وحب التسلط والسيطرة والتعامل بالعنف والقـوة والبطش والارهـاب •

فجميع هذه الامور لم تكن لتقوم لولا توفر ظروف موضوعية ملائمة لها • فالوطن العربي منذ الخمسينيات حتى الآن لا زال يمر بفترة بروز الطبقـة الوسطى والبورجوازية الوطنية وقوى العمـــال والفلاحين والمثقفين • وهـــذه المجاميع تتوزعها أرضيـات اقتصادية

متضاربة • وفكريات متباينة ومتفاوتة • ولقد أفرزت مراحل الخمسينيات وأوائل وأواسط الستينيات الكثير من التناقضات •• وقد آن الاوان لتجاوز التناقضات التي وصلت حدودها •

ظروف نكسة حزيران والتفكير العلمي

ان ظروف النكسة الاخيرة قد ساعدت على التفكير العلمي بضرورة اللقاء بين القوى التقدمية ودفعت العقلية الثورية الى – مراجعة – نفسها ومعرفة نواقصها في محاولة لتجاوز أزمة الثورية العربية التي وصلت الى حدود التعجيز الذاتي وظلت حبيسة مقولاتها الخاصة وتفسيرتها الانانية فتقوقعت في (الانكماش) كتعويض عن « الانفتاح » الذي كانت تظن كل قوة تقدمية انه « يفقدها ذاتها » ويجعلها تعترف بالقوى الاخرى التى أقل منها شأنا وكفاحا وفكرا وعقلا – حسبما ترى – ••

لقد سادت في فترة التطاحن « ظاهرة » التناقض والتضاد الحدى الامر الذي أوصل القوى التقدمية العربية الى حدود لا تحسد عليها • اذ راحت تصفى نفسها بنفسها زاعمة ان ذلك هو المنطق الثوري العلمي • غير مدركة حتى لمستلزمات مرحلة ما بعد الاستقلال السياسى ومقتضيات التعبير عن المطالب الجماهيرية والوطنية الملحة فسقطت نتيجة لذلك في أمراض من صنعها • وبعدئذ كبرت تلك الامراض واستفحلت وأصبحت عوائق ضد تجاوز الصيغ العملية والفكرية القديمة بل تحولت الى أداة حساسة ونرفزة وتطير واشمئزاز

ما زال التبعثر والتناثر سائدا

وكانت حصيلة ذلك تمزق وتبعثر وخسران كثير من الطاقات

الثورية التي فضلت التخلي عن العمل الذي أصبح يمور ويحتدم بتناقضات شتى لا حصر لها ولا عد .. تناقضات ذاتية أكثر من كونها موضوعية ... أما الآن فتطرح مسألة وحدة القوى التقدمية نفسها بشكل ملح لضرورتها التاريخية والسياسية . ولكونها تشكل علامة طريق مستقبل اليسار العربي وأداة تجاوز لاساليب المراحل التاريخية السابقة التي طالما طرحت على النضال العربي خلال مراحله المختلفة .

◆ لقد عجزت الاطر القديمة عن تحقيق مطالب الجماهير وتطلعاتها ولم تكن موازية لمستوى المسؤولية الملقاة على عاتق التقدميين العرب ـ قطريا وقوميا ـ أما وقد أدركنا ذلك فعلينا اعادة الصيغ العملية التي نتعامل بها مع الجماهير ونتعامل بها مع القوى التقدمية بكافة اطاراتها . وبلورة هذه الاعادة والتقييم في تحرك منظم وصيغ فكرية علمية مدركة لخصائص المرحلة التاريخية التي يمر بها الوطن العربي . وتفاوت هذه الخصائص قطريا بسبب تفاوت التطور الاجتماعي والسياسي للاقطار العربية . ولكي يستطاع فعل ذلك على كل فصائل القوى التقدمية الوطنية والقومية أن تقوم بمهمة أولية بنقد مواقفها وأفكارها . فالنقد والنقد الذاتي من اولى واجبات الثوريين في هذه الفترة . كما ان اعادة الثقة بالنفس عن طريق الاستبصار العلمي وليس الغرور الاناني هو السبيل الى تحقيق مهام النضال الوطني والقومي بشكل ثابت ومستمر .

المهام العاجلة والاساسية

وتلك المهام تتطلب اعادة البناء الداخلي لكل قوة تقدمية في الوطن العربي . فتبديل البناء الذاتي لا يعني به تبديل الاشخاص .

وانما تبديل المفاهيم العملية وصيغ التعامل مع الجماهير وبناء الارتباط السياسي معها • وهذا يستلزم الوعي بالفكرة أولا وأخيرا •• الارتفاع باسلوب العمل الى مستويات عليا من المباشرة والمواظبة • فليس التعامل مع الجماهير متوقفا على الريادة الشخصية أو التكوين الشللي أو الفئوى أو الاغراء بالاحلام والفراديس الارضية • فالعمل النضالى هو استبصار واقعي وفهم عملي وادراك علمي أيديولوجي للاشياء الموجودة والمتصورة معا وعلاقات الانتاج والمراحل السياسية والاجتماعية •

الاخطاء والنواقص

والخطأ الذي وقعت فيه الكثير من القوى الثورية العربية انها اعتقدت أن الجماهير مجرد قطيع يؤمر ويساق • وهذا الاعتقاد جاء بتأثير الفكر الاستعمارى الغربى والواقع الاجتماعى الذي لا تزال فيه العلائق الانتاجية السائدة تطغى فيها روح البورجوازية وهيمنة الفرد •• كما ان تلك القوى كانت مخطئة في تعاملها مع الجماهير اذ أنها رأت ان التخدير الوجدانى بواسطة الاحلام العريضة والكلمات الطنانة الرنانة والصور المبهرجة والخيالات الواسعة سيحيل تلك الجماهير الى « أدوات طيعة » وهذا يخالف المبدأ الاشتراكي القائل : لا يمكن التقرب الى الجماهير الا بالتعبير الحقيقى عن مصالحها • كما ان القوة الثورية الاصيلة هي التي تستطيع أن تقود الجماهير بواسطة أساليبها العملية دون أن تجعل تلك الاساليب تطغى لان المباشرة العملية بدون فكر تنتهج العمل المحض • ومخاطر العمل المحض أشد من الفكر الثورى المجرد • اذ ان الاخير ينتج

مجموعة من المثقفين تتعامل بالفلسفات والعقائد والمذاهب • دون أن تباشر العمل • وهذا الشيء فيما يخص مخاطر العمل المجرد – اي الذى لا يهتدى بفكر أو نظرية أو دليل علمي ، ان هذه الظاهرة شديدة الضرر اذ أنها تقود الى انفجار تناقضات عديدة في حالة التطبيق الفعلي لمستلزمات العمل السياسى والاقتصادى •• وهذا بالضبط ما تعاني منه الكثير من القوى التقدمية العربية الوطنية منها والقومية •

◆ وبناء على ذلك نصل الى استقراء علمي مواده ان القوى الثورية هي التى تستجيب لمتطلبات الواقع وتحاول أن تجعل منهاجها ملائما لذلك الواقع • فتعيد بنياتها بأقصى سرعة وبمرونة • دونما قولبة • أو تكيف مصطنع •

الاعتبار بالتجارب واحداث الماضي

ويقينا تصل هذه القوى الى الغنى الفكرى والعلمى وتكون أعمالها موازية لتفكيرها • لان الفكر هو نتيجة للاستيعاب الصادق للواقع بكافة خصائصه المتحولة وقواعده الاساسية المتحكمة في البناء الاقتصادى والاجتماعي والسياسى • وفهم الواقع لا يعنى الانفصال عن التجارب الماضية اذ أن الماضى يشكل جزءا من الحاضر • وبالتالى فان الوصول الى نتيجة من نتائج فهم الواقع والاعتراف بالتجارب الماضية السلبية منها والايجابية اعترافا يحتوى النقد والتغيير• يجعل من الموقف الذي تقفه القوى الثورية موقفا ايجابيا وعلميا مرنا يبلور نضال الجماهير العاملة ويرتفع بذلك النضال وحركته الى أعلى ويصعد المستوى الفكرى الى قمته ضمن اطار الواقع الموضوعي القطرى والثورة القومية الشاملة والارتباط الانساني العام لتجنب أى

ارتداد في ثورية تلك الجماهير واندفاعها خاصة فى المراحل التى تلى مراحل التجارب الشاقة والمضنية والانتكاسات المستمرة • لتضمن استمرارية الروح النضالية بالدرجة الاولى وتكسب لاقدامها موقعا في الدرجة الثانيـة •

لماذا تجاوزت الجماهير القوى التقدمية ؟

في اطار هذا المفهوم العلمى نرى أن القوى الثورية العربيـة لا تزال تعانى نقصا خطيرا في منهجها للتحرك النضالي والنقد الذاتي والبناء الداخلى والصعيد الايديولوجى العلمي وعلاقتها ببعضها بعضا • ونجد أنفسنا نقول انها لا تزال تعيش في عقلية المراحل السابقة تطغى في داخلها روح التكتل وحب التسلط والانانية والغرور • وهـذا يعنى انها متخلفة عن وعى الجماهير ومتخلفة عن مستلزمات المرحلة التاريخية المعاصرة • ولذلك فان الجماهير مسؤولة بلا شك عنهـا • فهـى تجاوزتها محاولة رفـع مستواها النضالي بنفس المقـدار الذي ساعدتها فيه على بلـورة نضالها ووضعه فـي الاطار الذي يجب أن يوضع فيه •• وبالرغم ان هذا الموضوع لا يدخل ضمن ميدان البحث الـذي نتحرك فيـه فانه يمسه في الصميم ذلـك لان نجاح القـوى الثورية العربية منـاط بنجاحها بالتعبير عـن قضايا الجماهير ومستوى العمل السياسى ومراحل النضال ـ قطريا وقوميا ـ •

الاختلاف على تبرير نكسة حزيران

لقد وجهت قوى الامبريالية العالمية ضربة الى حركة التحـرر العربي في عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ ضربة ـ موقتـة ـ قلبت موازين القـوى التقدمية العربيـة وجها لوجـه مـع اسرائيل

ـ أميركا ـ صحيح ان المعركة لم تعط نتائج سياسية لمصالح العدو الامبريالي • الا أن تكتيك الولايات المتحدة يبغى الى جعل الانتصار السياسى الذي تحلم به هو الامر الحاسم في المدى الطويل لتصفية الثورية العربية كلية • اذ أن الحرب المحدودة التى شنت علينا فى حزيران نذير لتصاعد الحرب • وهذا الامر كان في ادراك القوى الثورية العربية • ومع ذلك انتظرت هذه القوى حدوث العدوان دون أن تتحد حتى ولو مرحليا في لقاءات أو حوار فكرى •

◆ وفوق كل ذلك تحاول بعض القوى الثورية العربية تبرير النكسة بانها نتيجة للتواطؤ الاسرائيلي الاميركي والتفوق التكنولوجي لدى المستعمر فقط • وهي بذلك تهمل الجوانب السلبية التي لدى الحركة الثورية العربية ولا تأخذ بالاعتبار أن طبيعة النظم الاجتماعية السائدة في الوطن العربي أثرت بشكل مباشر على المعركة • فلم تكن هناك جبهة مضادة للامبريالية موحدة • كما اننا قد أسأنا لانفسنا عندما كنا نستهين بقوة العدو • وبينما نحن نتحدث عن الحرب كان هو يتحدث عن السلم بينما يستعد للحرب في السر • ولم تستطع القوى العربية الثورية مخاطبة التقدمين في العالم اذ انها أما كانت معزولة عن القوى التقدمية لدى الشعوب الاخرى بسبب فهمها القاصر للترابط الانساني وترابط المعارك ضد الاستعمار واعتباره يعاكس مهام الثورة التقدمية وأما منطوية على مفاهيم غيبية أو صورة ضبابية للقوى التقدمية في العالم • وأما قاصرة ذاتيا اذا كان عنصر النضوج الفكري متوفرا لديها •

اننا قد ارتكبنا أخطاء فادحة في مخاطبتنا لشعوب العالم التى

لا تعرف عنا غير لغة ينقلها العدو اليها • وهكذا نفرت الكثير من الشعوب من منطق قوانا الثورية ولا زالت قوى ثورية عالمية ترى ان اسرائيل تمثل التقدم ضد الرجعية والتمدن ضد البداوة !! •

أوضاع القوى التقدمية

ونعود الى انعكاس هذه الآثار على وضعية القوى الثورية العربية • فنجد اختلافا في التغيرات الكلية وحتى تناقضا صارخا في الامور الجزئية • وهذا يدلل بشكل قاطع على ضعف استراتيجية الحركة الثورية العربية بل فشلها في أحيان كثيرة وقلة فاعليتها • ومعنى ذلك الاعتراف الضمني بأن معسكر حركة التحرر العربي تمزقه التناقضات وتهمنا الآن هذه التناقضات لانها متعلقة بالمصير العربي والفعالية العربية • ولانها أيضا عامل التأثير الاساسي في الوقت الحاضر

ازمة الثورية العربية من اين والى اين ؟

نصل من خلال استقرائنا هذا الا أن ضعف الخطط الستراتيجية في حركة التحرر العربي يعود الى عوامل ذاتية وموضوعية • والعناصر الاكثر بروزا في هذا المجال هي ما يلي :

١ – ان الاستراتيجية الثورية العربية تعاني من تناقضات في داخلها من أبرزها الصراع داخل القوى التقدمية • واعتماد الانفراد الذاتي • والانعزالي •• وفرض القهر السلطوي عندما تحين الفرصة لكل قوة تقدمية على حدة • تقابلها القوى الاخرى بالمثل عندما تحين الفرصة • وهذا الامر ينتج ظاهرة التصفيات الدموية والحقد وعدم التضامن الامر الذي أتاح للرجعية مناخات صالحة تتحرك فيها •

٢ – ان اسباب التناقضات الاساسي في حركة التحرر العربي

تكمن في أحوال كل حركة ثورية • اذ ان قوى التقدم العربي الحاضرة متفاوتة الاصول • فهي أما منحدرة من اصول شبه اقطاعية انسلخت منها بفعل التطور الموضوعي أو الانتقال الى المدن من الريف فتحولت الى بورجوازية متوسطة ذات عقارات أو مراكز صغيرة بفعل أو بعامل التعليم أو الاشتغال في المدن والامتهان الحرفي• وكل قوة من هذه القوى تحمل مفاهيم معينة وترمى الى أهداف محدودة •

٣ ـ وسبب ثالث في القضية هو تشابك المراحل النضالية • فلقد حملت مرحلة الخمسينيات فغيرت تلك المفاهيم وأوجدت مفاهيم جديدة طغت فيها الضبابية والغيبية واللا تحديد وعدم التعريف العلمي • أما في مرحلة الستينيات فنسفت مفاهيم تلك المراحل • ومن الفهم العلمي الذي يجب أن يقال أن تشابك هذه المفاهيم أوجد ارتباكا في العقلية العربية وتضاربا في تمييز المفاهيم • اضافة الى ذلك ان هذه الفترات الثلاث سادتها ظواهر عديدة منها بروز منظمات واختفاء اخرى وحدوث انشقاقات والتحامات وما الى ذلك •

٤ ـ والعامل الرابع والاساسى هو ان الاقطار العربية لم تكمل مراحل التطور الاجتماعي فتكون لديها حصيلة كافية من التراث السياسى وظروف موضوعية وانتاجية تسمح بالوصول الى الحل الاشتراكي المطلوب باستراتيجية موحدة •

◆ تلك هي أهم عوامل أزمة الثورية العربية وواقع اليسار العربي الذي لا يمكننا ادراك ملامح ومعالم مستقبلة الا اذا استعرضنا المسألة بشمولية ذات جوانب تفصيلية في نفس الوقت وهذا ما سنفعله في مشروع كتاب جديد •

المحتوى

مقدمة المؤلف ١

الباب الاول ـ الموقف الاميركى ٥

الفصل الاول : نظرية المثلث المضطرب . . . ٧
الفصل الثاني : ابعاد النظرية الاميركية المعادية للثورة . ١٢
الفصل الثالث : اخطر مؤامرة اميركية يهودية تواجه العالم ٢٧
الفصل الرابع : دراسة تحليلية لاستراتيجية اميركا في العدوان الاخير ٣٧

الباب الثاني ـ الموقف الصهيونى ٤٩

الفصل الخامس : دراسة فى السياسة الصهيونية . ٥١
الفصل السادس : لماذا تستعجل اسرائيل المعركة مع الجمهورية العربية المتحدة ؟ ٥٧
الفصل السابع : دراسة للموقف العربي والموقف الصهيونى ٦٥

الباب الثالث ـ حرب التحرير ٧٣

الفصل الثامن : استراتيجية الرعب والحرب النفسية والدعائية ٧٥
الفصل التاسع : الحرب التحررية ضد الحرب الاستعمارية ٨٥
الفصل العاشر : خصائص الحرب التحريرية العربية . ٩٥
الفصل الحادي عشر : بماذا تتسم حرب العصابات داخل اسرائيل ؟ ١٠٥

الباب الرابع ـ الاقتصاد والمعركة ١٢١

الفصل الثاني عشر ماذا تعني اقتصاديات الحرب ؟ . ١٢٣
الفصل الثالث عشر : غلق قناة السويس والضغط

الاقتصادى على دول العدوان ١٣٣
الفصل الرابع عشر : هل ادت المقاطعة الاقتصادية
العربية لدول العدوان دورها ؟ ١٤٤
الباب الخامس ـ آفاق الغد ١٥٧
الفصل الخامس عشر : احتمالات الصدام مع العدو . ١٥٩
الفصل السادس عشر : احتمالات الصدام مع العدو
وفلسفة تصعيد الحرب الاميركية ١٦٤
الفصل السابع عشر : آفاق الغد ومستقبل المعركة . ١٧٤
الفصل الثامن عشر : هل يبدأ العدو بالهجوم أم نبدأه
نحن ؟ ١٨٣
الفصل التاسع عشر : الوحدة بعد نكسة حزيران . . ١٩٣
الفصل العشرون : ازمة الثورية العربية بعد عدوان
حزيران ٢٠٢
الفهرست ٢١١

الثمن ٢٠٠ فلس

المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072565573